هذه بلادنا



بلاد ثقيف

تأليف

د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي

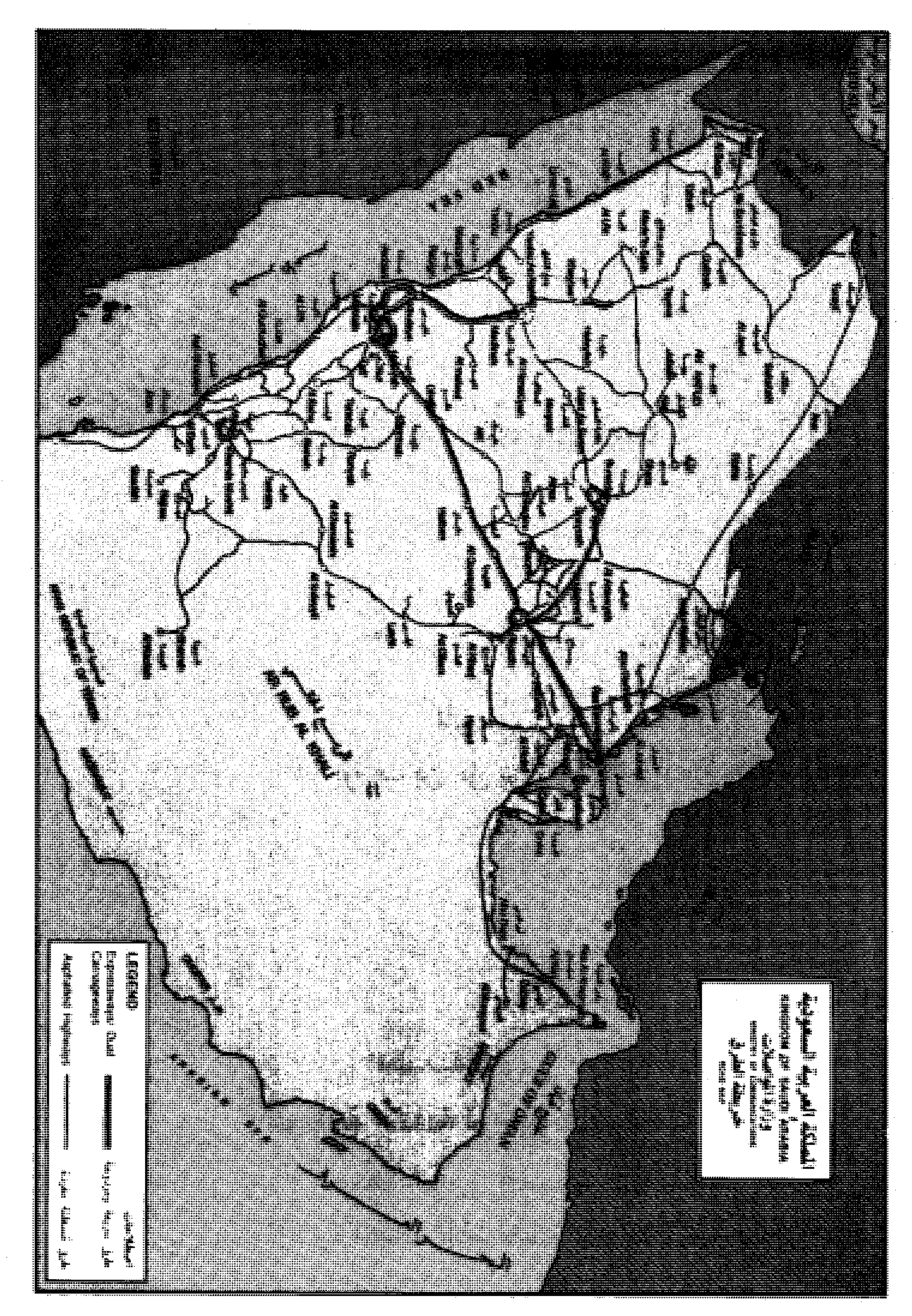
الطبعة الأولى

الرئاسة العامة لرعاية الشباب

وكالة شؤون الشباب

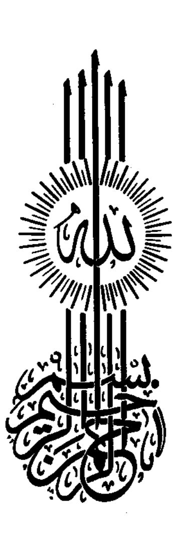
الإدارة العامة للنشاطات الثقافية

الرياض ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م



● بلاد ثقيف

مطابع جامعة الملك سعود ١٤١٣هـ





تقديم

يسعدني أن أقدم لسلسلة كتب (هذه بلادنا) التي تهدف الرئاسة من ورائها إلى إمداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية التي تبرز تاريخ الوطن في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة وتعمل على تسجيل التراث الفكري والفني والعادات والتقاليد في المملكة.. هذا بالإضافة إلى كونها تجميعًا لنشاط المحاضرات الذي تقوم بتنفيذه الإدارة العامة للنشاطات الثقافية.

ولعلنا بهذا العمل نسهم في تشجيع البحث والباحثين لربط الماضي بالحاضر وتسجيل ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث لتكون نبراسًا هاديًا لشباب الغد وتقديم ما يساعدهم على معرفة الحقائق ويجعلهم يفخرون بما قدمه السلف وإتاحة الفرصة لهم لصنع مستقبل بلادهم.

ومن حسن حظ الباحث في هذه الأيام وفرة المراجع والمعاجم التي تساعده على تلمس الطريق وتوفر له الوقت وتسهل له مهمة البحث ليصل إلى ما يريد.. وذلك بعكس ما كان عليه الحال في الأجيال القريبة الماضية حيث كان المؤرخون يجوبون البلاد من مشرقها إلى مغربها في سبيل الحصول على أية معلومة عن تاريخ بلادهم. وكثيرًا ما كانوا يأخذون الحقائق من أفواه الشعراء وآثارهم وذلك لندرة المصادر المباشرة التي تتحدث عن أي بلد من البلدان أو موقع من المواقع.

وإنه من الأفضل لأية أمة من الأمم أن تكتب تاريخها بنفسها عن طريق أبنائها المخلصين الذين أتيحت لهم فرصة التعليم والوصول إلى أرقى الدرجات العلمية وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب والبحث والتنقيب في المعاجم

والاستفسار والتمحيص بالاتصال بالمعمرين من أبناء هذه البلاد وبذلك نستطيع الكتابة عن أي جزء من أجزاء الوطن بصورة مبسطة ومباشرة تساعد الأجيال القادمة على التعرف على تاريخ أمتهم دون تعب أو عناء.

وإنني أتمنى لهذه السلسلة النمو والازدهار.. وللإدارة العامة للنشاطات الثقافية التي تقوم بإصدارها التوفيق والنجاح.

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

هذه السلسلة هي مجموعة من الكتب ليس المقصود منها مجرد النشر فقط، ولكنها جاءت امتدادا طبيعيا لنشاط الإدارة العامة للنشاطات الثقافية في مجال المحاضرات.. فقد عملت الإدارة على تنويع برامج المحاضرات واختارت من الموضوعات الشيقة ما يهم كافة المواطنين، وليس هناك من شك في أن كل انسان يشعر بالحنين إلى البقعة التي نشأ فيها ويهمه أن يتبين تاريخها.. فإن كان صغيرا يهمه أن يعرف أمجاد بلاده وتاريخ اسلافه، وإن كان كبيرا فإن حديث الذكريات يشجيه ويذكره بافراحه وأتراحه ومراتع صباه، ومن هنا كان اختيار تاريخ البلاد موضوعا لتلك المحاضرات التي سيتم تجميعها في سلسلة من الكتب إن شاء الله.

وسوف يحتوي كل كتاب من هذه السلسلة على بحث قام بإعداده أحد المتخصصين يتحدث فيه عن تاريخ بلدة أو إقليم من بلدان وطننا الحبيب وعن أهمية تلك البلدة وتقاليدها التراثية وعاداتها وأنواع الفنون بها وملامح النهضة العمرانية والزراعية وأوجه الحياة فيها وذلك بعد الرجوع إلى المراجع التي تحدثت عن الموضوع والالتقاء بأهل البلدة من المعمرين والشيوخ في سلسلة من المحاضرات والندوات ودارت حولها المناقشات ثم تأتي مرحلة تجميع هذا البحث في ضوء المناقشات ويتم عرضه قبل طباعته على بعض ذوى الاختصاص من مؤلفي المعاجم لمراجعته واجازته.

وتهدف الادارة من وراء ذلك إلى تطوير برامج المحاضرات وتشجيع ملكة البحث والتأليف وامداد المكتبة السعودية بالمؤلفات الوطنية وابراز تاريخ المملكة في سلسلة من الكتب العلمية المبسطة تسجل التراث الفكري والفني في ارجاء الوطن.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الادارة العامة

للنشاطات الثقافية

هذي ثقيفُ وما بدا لنواظري ... وأنا المتيّم بالجمال السّاحر

بجمالِ خلق الله في أزهارهِ ... حيث الجمال يشدُّ كُلَّ خواطري

في موكبِ الأشجار يبدو زَهرُها ... فوق الصخورِ ككوكبٍ مُتناثر

وعلى الغصونِ تألّقت ألوانه ... بفتونهِ وصفائهِ المُتناضر

شجرٌ يميل مع النسيم بحُسنه ... بلآلىءٍ وزُمرّدٍ وجواهر

في حُلّةٍ بيضاء ناصِعةُ الرُّؤى ... أزهى جمالاً من جناحي طائر

واللُّوزُ في بسماتهِ ووقاره ... خلف الضياء يَشدُّ قلب الزائر

والتِّين والزيتون بين صخارهِ ... يُعطي جمالاً فائقاً للنّاظر

والنحلُ طوافٌ على أزهاره ... ليُقدِّم الشّهد النّقي الوافر

وجبالها خضراء زان جمالها ... أجواء ملأى بالسّحاب الماطر

لا أستبين من الربيعِ سوى الزهور ... بحُسنها وجمالها المتقاطر

الله أبدعها وأحسن صُنعها ... وحبا الطّبيعة قُدرة من قادر

فإذا البرية قد أبانت ضعفها ... ما بين مُعجب بالجمال وحائر

هذه ثقيفُ وفي التراث لها صدى ... المجدُ فيها كالمثال السائر

أمجادها منذ الأوائل أصبحت ... أحداث تسمو عند كُلّ مفاخر

كم سجّل التاريخ في صفحاته ... لرجالك الأبطال كُلّ مآثري

منهم بنو الحجاج وابن القاسم ... ورثوا البطولة صاغر عن كابر

وصلوا حدود السِّند بعد تمكنوا ... من قمع كل مُعاند ومُكابر

أنا من ثقيف وموطني وادي قها ... أحببت فيها العيش بين عشائري

ولمن أراد الوصف عنّي فليقل ... ما بين كاتب للتراث وشاعر

هذي ثقيف موطني لكنني ... في مكة الفيحاء عند مشاعر

المؤلف



مقدمة

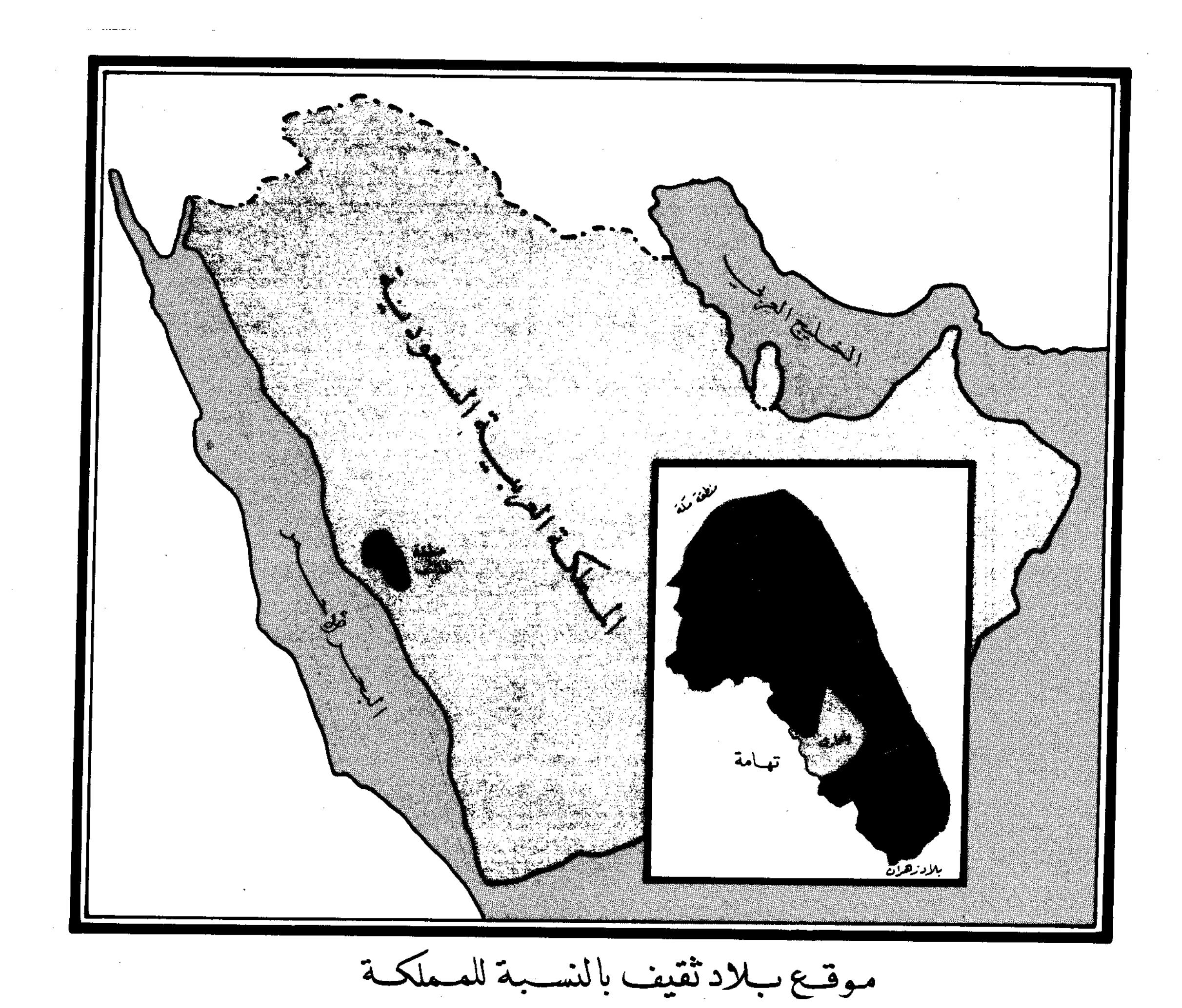
منذ فترة طويلة وأنا أفكر في الكتابة عن بلاد ثقيف مدفوعًا بعامل الرغبة الشديدة في تأدية الواجب الوطني نحو مسقط رأسي، إضافة إلى عدم وجود أي مؤلف يحفظ تراث وتاريخ هذه المنطقة للأجيال القادمة.
وترددتُ كثيرًا في الإقدام على هذا العمل بسبب مشاغلي العلمية في الجامعة ـ جامعة أم القرى ـ ولكن شاء الله وتحقق الحُلم بعد أن كلفتني الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالكتابة عن المنطقة ضمن سلسلة «هذه بلادنا»، ورأيت في ذلك تشجيعًا لا يجعلني أتقاعس عن هذا العمل مهما كانت المسؤوليات، وإنني بذلك أشكر الله أولاً ثم الرئاسة العامة لرعاية الشباب ثانيًا ممثلة في صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز ثم نائبه سعادة الدكتور صالح بن ناصر، على تفضل الرئاسة بتكليفي مع من كلفت من أدباء وعلماء في بلدنا الغالي للقيام بهذه الدراسات الإنسانية النبيلة التي تعطي بلا شك دفعة قوية للراغبين في تدوين تاريخ بلادهم وجوانب حضارتها.

ولأن منطقة بلاد ثقيف لم تحظ بالدراسات عن ماضيها وحاضرها، فقد اعتمدت في جمع معلومات هذه الدراسة، على أقوال الرواة وكبار السن وبعض الوثائق التي عثرت عليها في مكتبة الوالد «علي بن رابع» ـ رحمه الله ـ. كما اعتمدت أيضًا على المعلومات التي حصلت عليها من قبل بعض المرافق الحكومية الموجودة بالمنطقة. كذلك كان للتجربة الشخصية والمشاهدات الميدانية دور بارز في رسم الصورة الحقيقية لجوانب الحياة المختلفة في المنطقة.

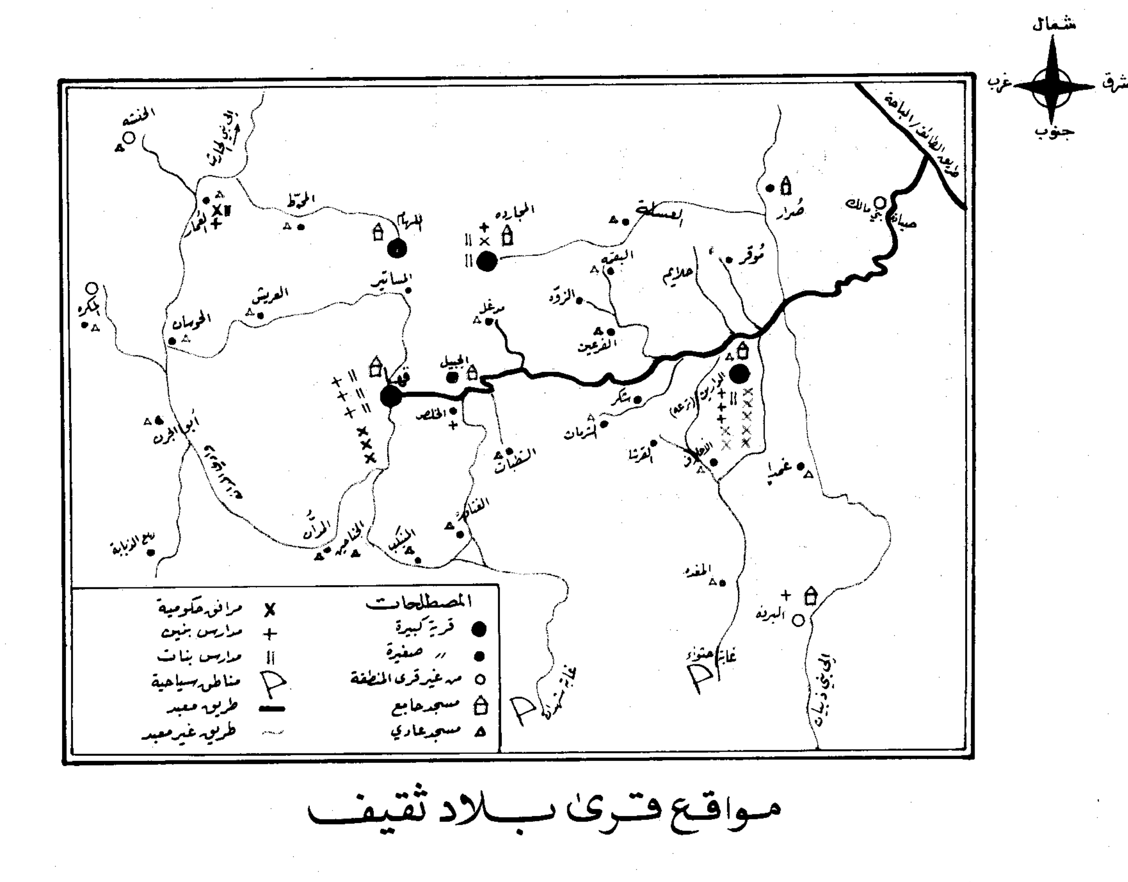
وإليك أيها القارىء الكريم أقدم هذه الدراسة متضمنة لمحة عن تاريخ بلاد ثقيف وطبيعتها الجغرافية وأوضاعها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والرياضية، وكذلك حالة التطور والعمران، مراعيًا في ذلك الاهتمام بتراثها وإبراز واقعها الحضاري، ومتحريًّا الأمانة والصدق والدقة في تدوين المعلومات.

وأخيراً، أرجو من القارىء العزيز المعذرة في حالة النقص أو التقصير فالكمال لله وحده والخلل من سمات الأعمال البشرية، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. يوسف بن علي بن رابع الثقفي



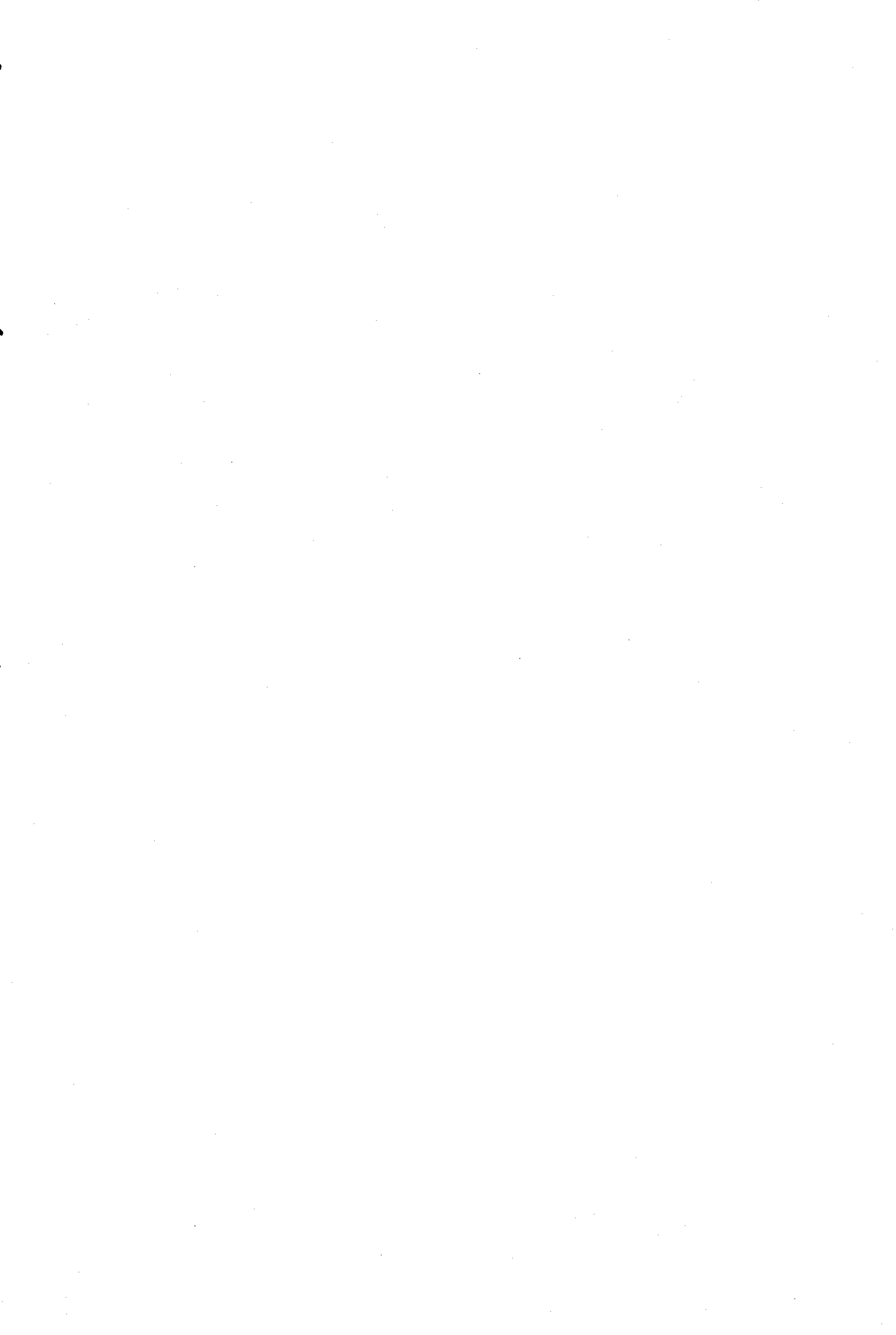
موقع بلاد ثقيف بالنسبة للمملكة



مواقع قرى بلاد ثقيف

الفصل الأول

بلاد ثقيف وعلاقتها التاريخية بالطائف



ورد اسم ثقيف في المصادر اللغوية بمعانٍ مختلفة، فقد أورد كل من ابن منظور في «لسان العرب» والواسطي في «تاج العروس من جواهر القاموس» أن ثقيفًا هو أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[*]، وقال سيبويه: أما قولهم هذه ثقيف فعلى إرادة الجماعة، وإنما قال ذلك لغلبة التذكير عليه وهو مما لا يُقال فيه من بني فلان، وثقيف من ثَقُف بضم القاف بمعنى صار حاذقًا وفطنًا فهمًا، قال الليثُ رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ أي راو وشاعر، وقال ابن السّكيت رجلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به، وزاد اللحياني: ثقيف لقيف مثل أمير![1].

وقال الفيروز آبادي: ثَقُف ككُرم وخَرُج، ثَقفًا وثِقفًا وثقافةً صار حاذقًا خفيفًا فطنًا فهو ثَقِفٌ كحبرٍ وكتفٍ وأمير ونَدُس وسُكّيت، وكأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن، وهو ثقفّي متحركة، وخلٌ ثقيفٌ حامض جدًّا[2] وورد

(*) انظر الملحق رقم (١).

(١) أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور «لسان العرب» جـ ٩ بيروت دار صادر، ص ١٩ / ٢٠.
محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الواسطي الزبيدي، «تاج العروس من جواهر القاموس»، مجلد ٦، بيروت: دار الفكر، ص ٥١.

(٢) الفيروز آبادي محمد بن يعقوب، «القاموس المحيط» بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص ١٠٢٧.

في الموسوعة العربية أن ثقيفًا اسم لقبيلة عربية كانت تنزل الطائف قبل الهجرة النبوية شملت إلى جانب مدينة الطائف وما حولها عدة قرى تمتد ناحية اليمن[1].

هذا ما يتعلق بالناحية اللغوية لاسم ثقيف أما عندما نتحدث عن تاريخ منطقة بلاد ثقيف فيجب بادىء ذي بدء الحديث عن تاريخ الطائف بشكل موجز وذلك لأن بلاد ثقيف ما هي إلا جزء من الطائف نزح أهلها ناحية الجنوب واستقروا في المكان الحالي لهم والمسمى «بلاد ثقيف».

والطائف لها تاريخ عريق، وأهمية عظيمة منذ أقدم العصور. فقبل الإسلام، كان سوق عكاظ بقرب الطائف مقرًا يجتمع فيه رواد الشعر والأدب، وسوقًا حافلاً بالتجارة المتبادلة من جميع أنحاء الجزيرة العربية[2].
وكان الطائف بموقعه الجغرافي الممتاز مقرًا رئيسيًا لطرق القوافل الآتية من جنوب الجزيرة نحو مكة المكرمة، ومحطة صيفية لأهل مكة، قال عنها الأصطخري أثناء حديثه عن جبل «غزوان» الذي تقع عليه الطائف:
«وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل»[3].
وأوردت المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ كان له بساتين في المكان المسمى بالوهط[4]، وذكر الأصفهاني أن عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة وتخرج إلى قصرها بالطائف لتتنزّه فيه[5].
وقال المقدسي: «الطائف مدينة شامية الهواء باردة الماء كثيرة الفواكه إذا تأذى ملوك مكة بالحرِّ خرجوا إليها حيث كانت مصيفًا لهم[6]. وقال شاعر الطائف محمد بن عبدالله

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، دار الشعب، ط٢، ١٩٧٢م ص٥٨١.
(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٢ ص ٥٤، الأزرقي، أخبار مكة ج ١، ص ١٨٨.
(٣) الأصطخري، المسالك والممالك ص ٢٤.
(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٥١.
(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ٢٠٣.
(٦) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٩.

النُّميري عندما وصف زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي بالرفاء والنعمة:

تشتو بمكة نعمة ومصيفها بالطائف[1]

وتغنى الشعراء بجمال الطائف وذكرياتهم على وادي وج حيث قال الشاعر عروة بن حزام:

أحقًا يا حمامة بطن وجٍّ بهذا النّوح إنكِ تَصدقينا
غَلبتُكِ بالبكاء لأن ليلي أُواصله وانِّكِ تهجعينا
وإني إنْ بكيتِ حقًا وإنَّكِ في بكائكِ تكذبينا
فلستِ وان بكيتِ أشدّ شوقًا ولكني أسِرُّ وتُعلنينا
فنوحي يا حمامة بطن وجٍّ فقد هيّجت مُشتاقًا حزينًا[2]

وبعد انتشار الإسلام، تحطمت دور الأصنام في الطائف، ودخل رجال ثقيف في الإسلام، وتحملت قياداتهم المسؤولية في نشر الإسلام والذود عنه، وبرز منهم القادة والعلماء، وكان لهم شرف فتح عدد من المناطق وإدخال أهلها في الإسلام.

وفي إدارة الأمصار في المناطق المفتوحة أسهم الثقفيون فيها بجهود عظيمة وكان لهم دور بارز في ذلك أثبته لهم واقع التاريخ الإسلامي، ولربما لعبت الأسباب دورها في هذه المساهمة الفعالة، منها معرفة الثقفيين بالنواحي الحضارية منذ القدم حيث كان لهم اتصالات تجارية بالبلاد الأخرى سواء بشكل مباشر أو عن طريق اشتراكهم مع قوافل قريش التجارية، لا سيما وأن بلادهم كانت مخزنًا للغلال المصدرة وبعض الصناعات، مما جعل اطلاعهم على أحوال غيرهم وحضارتهم واقتباس ما يمكن اقتباسه من الحضارات، كل ذلك جعلهم يحتلون مركزًا ممتازًا في منطقة الحجاز.

أيضًا، كان لثبوت الثقفيين على إسلامهم وعدم ارتدادهم وإسهامهم في قمع حركة الردة، واشتراكهم في الفتوح الإسلامية سببًا في تقريب الخلفاء لهم واعتمادهم

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ٦، ص ٦٠٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٢.

(٢) العجيمي، إهداء اللطائف في أخبار الطائف، ص ٧.

عليهم في إدارة الأمصار الإسلامية. وبالفعل أثبت الثقفيون حسن تصرفهم وجدارتهم ومهارتهم العسكرية والإدارية فتم تعيين بعضهم ولاة للمناطق المفتوحة، وكان الثقفيون يؤدون أعمالهم على خير وجه سواء في الإدارة أو الأعمال العسكرية لا سيما وأنه لم يكن هناك فصل بين الوظائف المدنية والعسكرية، فكان الخليفة عندما يصدر قرار تعيينه يصبح المُعينّ هو القائد العسكري وهو الحاكم الإداري وهو إمام المسجد في آن واحد.

ومن الولاة الثقفيين عثمان بن أبي العاص الذي ولي إمارة الطائف منذ إسلام أهلها، واستمر بمنصبه في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وفي عهد عمر بن الخطاب أُضيفت إليه ولاية البحرين وعمان في السنة الخامسة عشر للهجرة.

ويذكر ابن حجر أن عثمان بن أبي العاص ولّى أخاه الحكم بن أبي العاص على إمارة البحرين عند توجهه إلى البصرة بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه. وقد أوردت المصادر التاريخية أن لعثمان بن أبي العاص داراً في المدينة المنورة أخِذت منه في عهد الخليفة عثمان بن عفان فأُعطي بدلاً منها قطعة أرض بمدينة البصرة في العراق وهي الأرض المعروفة بشط عثمان.

ومن الولاة الثقفيين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سفيان بن عبدالله الثقفي على الطائف ويعلى بن منبه الثقفي على صنعاء، والمغيرة بن شعبة الثقفي على الكوفة. ولقد عُرِفَ عن المغيرة بن شعبة أنه أحد دهاة العرب الأربعة[1]، وأنه هو الذي اقترح على الخَليفة عمر بن الخطاب لقب «أمير المؤمنين»، وفي خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ تولى ولاية أرمينيا وأذربيجان، ثم عين بعده القاسم الثقفي، ثم وَليَ الكوفة سنة واحد وأربعين للهجرة ووطد الحكم الأموي في عهد معاوية بن أبي سفيان وبقي في الكوفة حتى وافاه أجله فيها[2].

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ص ١٣٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٢٨٤.

وذكر الطبري أن السائب بن الثقفي وَلِيَ أصبهان وتوابعها سنة أربع وعشرين للهجـرة، أما نافع بن الحارث الثقفي وأبو بكَرة الثقفي فقد اشتركا في إدارة البصرة وأسهما في أوجه النشاط المختلفة فيها، وصار للثقفيين بالعراق دورٌ سميت بأسمائهم، فنرى دار نافع بن الحارث الثقفي بالبصرة ودار المغيرة بن شعبة الثقفي، ودار الدمون الطائفي ودار أبي بردة الذي اشترك في فتوح مصر وكانت أمه بنت الدمون.

وهـا هو أبـو عبيد بن مسعـود الثقفي شقيق عروة بن مسعود في أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يواجه الفرس بقيادة جابان وينتصر عليهم ويموت شهيداً بعد ذلك[١]. وها هو محمد بن القاسم الثقفي يسهم في الفتوح الإسلامية في فارس وأرمينيا والجـزيرة والسنـد والهنـد ويسجـل أروع البطولات والانتصارات الإسلامية هناك[٢]. وها هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي نجح في توطيد الأمن والقضاء على الثورات المناوئة للأمويين على الرغم من بعض السلبيات التي أساءت الى تاريخه والتي ما تزال تحتاج إلى دراسة وتحقيق للتأكد من صحة الكثير من المعلومات التي حبكت حوله. وها هو يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي يتولى الحكم في مكة والمدينة والطائف في عهد الوليد بن يزيد بن عبدالملك سنة مائة وخمسة وعشرين للهجرة ويؤدي واجبه على أحسن وجه[٣].

وفي الحقيقة أنه لولا ثقة الخلفاء في جدية وكفاءة الثقفيين لما أولوهم إدارة الأمصار الإسلامية في مختلف الأقاليم. ولهذا يجب القول بأن الثقفيين أفرادًا وجماعات قدّموا للدولة الإسلامية في مختلف عصورها خدمة لا تُنكر وأدوا دورهم بنجاح تام ومسؤولية كاملة نحو كُل ما عُهِدَ إليهم من أعمال.

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٥١.

(٢) الطبري، الرسل والملوك، جـ٤، ص٥٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص ٤٣٠.

(٣) ابن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، جـ ١، ص ٣٧٦.

والطائف، الأم الأولى للثقفيين لم يحظ كغيره من المدن بالدراسات التاريخية الجيدة المبنية على أسس علميّة سليمة، ولعل من أسباب ذلك - على ما يبدو - قِلّة الوثائق التاريخية القديمة، حيث إن ما عُثِرَ عليه من المخطوطات القديمة تتحدث في معظمها عن وصف الطائف وفضله وسبب تسميته وذكر المآثر وفضل ابن عباس ووادي وج ووصول المصطفى ﷺ إلى الطائف التماسًا لنصرة ثقيف، ودخولهم في الإسلام.

والشيء الذي لم تتحدث عنه المصادر الأولية هو ما يتعلق بأنساب قبائل الطائف وأسباب نزوح القبائل من منطقة «وج» إلى أماكنهم اليوم، وهذه النقطة بالذات هي التي جعلت الكثير من المؤرخين المعاصرين يعتمدون في أغلب مدوناتهم على الرواية، ومن هنا حدث الإشكال.

والمؤرخون المعاصرون من ذوي الخبرة كتبوا عن تاريخ الطائف وأنساب قبائله، إلا أنهم رغم تميزهم واهتمامهم فقد اعتمد بعضهم على الرواية والنقل في بعض الأحيان دون تدقيق في صحة المعلومات، فكانت النتيجة أن كثرت الأخطاء في المعلومات وأصبحت - على مر الزمن - حقائق أو شبه حقائق يستقيها الأجيال تباعًا.

هذه عجالة موجزة عن الطائف، أما عن تاريخ بلاد ثقيف الحالية - موضوع الدراسة - فلها عندي أهمية كبيرة لا لأنها مسقط رأسي ولكن لما لاحظته من أخطاء في ما كُتِبَ عنها عند معظم المؤرخين تقتضي الإشارة إليها. فالزركلي لم يذكرها ضمن بطون ثقيف، ولكن مُحقّق كتابه استدرك ذلك في الهامش[1]، وعندما قسّم الأستاذ عبدالرحمن الزامل بطون ثقيف إلى ثمانية أقسام لم تكن ثقيف - هذه - منها[2]. والشريف محمد بن منصور تحدّث عن قبيلة ثقيف - الأصل - وقسم بطونها إلى تسعة أقسام ثم أضاف

(١) الزركلي، ما رأيت وسمعت، ص ١٤٩.

(٢) عبدالرحمن الزامل، منطقة الطائف، ص ٥٣.

بقوله: «ويلحق بثقيف هذه ثقيف اليمن على ما يسمونها أهل الطائف[1]، أما الجاسر[2] والحقيل[3]، وفؤاد حمزة[4] فقد ذكروا جميعهم بأنها من بطون ثقيف.

أيضًا، أسمت كثير من المصادر الحديثة هذه المنطقة بـ «ثقيف اليمن» وهذا المفهوم يحتاج إلى وقفة وتصحيح، خاصة وأنني أخشى أن يتعلم الأجيال ما دُوِّن في المؤلفات ويصبح هذا حقيقة على الرغم من عدم صحته. وأحب في هذا الخصوص أن أذكر أن السبب الذي جعل مسمى «ثقيف اليمن» يظهر ويُدوَّن في المؤلفات هو أن أسلافنا - رحمهم الله - لم تكن لديهم المصطلحات الجغرافية الحديثة عندما يحددون المكان أو المنزل أو المدينة أو أي مكان، وكانوا غالبًا ما يحددون بالجهة التي تقع خلف ذلك المكان أو البلد، فقالوا: ثقيف اليمن لأن هذه المنطقة تقع في الجهة الجنوبية مما يلي اليمن - المعروف عندهم -، وقالوا بثقيف الشام لأنها تقع جهة بلاد الشام، وفي مصر عُرِفت الحدود قديمًا بالوجه القبلي والوجه البحري. وقال أحد الشعراء عندما جَنَّ عليه الليل في أحد المناطق الجنوبية:

نظرتُ وقد أمسى المعيل دوننا	فعيَّان أمست دوننا فطِامها
إلى ضوءِ نارٍ بالكُبيبة أوقدت	إذا ما خبت عادت فشبَّ ضِرَامها
توقدها كحل العيون خرائد	حبيب إلينا رأيها وكلامها
غدا بيننا عرض الفلاة وطولها	فَداري يمانيها ودارك شامها[5]

أيضًا ذكر خير الدين الزركلي وصول خطاب إليه من قاضي الطائف عبدالله كمال جوابًا على سؤال عن حدود الطائف، فعددها القاضي بقوله: «فما رأينا أحسن من

---

(١) الشريف محمد بن منصور، قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ص ٢٢.

(٢) الجاسر، ص ٦٠.

(٣) الحقيل، ص ١٣٥.

(٤) فؤاد حمزة، ص ١٤٢.

(٥) الحسن الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١١٨.

حدوده المعلومة المذكورة في التواريخ وهي أن يحده شرقًا وادي لية، وغربًا وادي قرن، وشاما لُقيم، ويمنا الوهط. وهناك من يسمى المشرق «المبدأ» والمغرب «المغيب»، فتكون الجهات الأربع: مبدأ ومغيب وشام ويمن وهو ما يقابل الشرق والغرب والشمال والجنوب[1].

والشاهد فيما ذكرنا أن أسلافنا كانوا يحددون بالجهة، ولذلك يجب التنبه لمثل ذلك خاصة فيما يتعلق بالأنساب لأنه قد تعتقد الأجيال القادمة بأن ثقيف: الواقعة جنوب الطائف تعود في نسبها إلى اليمن وهذا غير صحيح.

وممن قال بهذه التسمية الشريف محمد بن منصور حيث قال - كما أشرنا سابقًا - يلحق بثقيف هذه «ثقيف اليمن» على ما يسمونها أهل الطائف[2]، وقال أحمد الحقيل: وهناك ثقيف باليمن قرب بني مالك عند الترعة[3]، وسماهم أيضًا بثقيف اليمن كل من فؤاد حمزة[4] ومحمد سعيد كمال[5] عندما تحدثا عن أقسام بطون ثقيف.
أما الجاسر فقد أبدع عندما قال في سبب تسميتهم بهذه الاسم: «وذلك لوقوع بلادهم جنوب شرق بلاد قومهم»[6].

ومما لا شك فيه أن قبيلة ثقيف جنوب الطائف ثقفية الأصل ومن أهم بطون ثقيف الطائف وذلك لعدة عوامل منها:
أولًا: أنها البطن الوحيد الذي حافظ على اسم ثقيف حتى يومنا هذا.
ثانيًا: أنها أقرب إلى الطائف منها إلى اليمن حيث تبعد عن الطائف بمقدار مائة وأربعين كيلو مترًا بينها تبعد عن اليمن بأكثر من ثمانمائة كيلومتر.

---

(١) الزركلي، ما رأيت وسمعت، ص ٢١٩.
(٢) الشريف ص ٢١.
(٣) الحقيل ص ١٣٥.
(٤) فؤاد حمزة ص ١٤٣.
(٥) محمد سعيد كمال، قبائل الطائف، مجلة العرب جـ ٥، ١٣٨٧هـ، ص ٤١٩.
(٦) الجاسر، معجم قبائل المملكة العربية السعودية، القسم الأول، ٦٠.

ثالثًا: وقوعها من جهة الطائف قبل بني مالك والتي تعد كما أشارت المصادر الأولية أنها من بطون ثقيف أيضًا.

أما نزوح الثقفيين إلى الجنوب وسكناهم فوق قمم الجبال فنورد لذلك آراء واحتمالات على النحو التالي: منها ما أورده الشيخ عبدالحي حسن كمال بقوله: «ومن قبيلة ثقيف قبيلة كانت منازلهم في الهدا وهم خليط من ثقيف وهذيل وقريش الذين دخلوا في ثقيف بالحلف وحصلت بينهم حروب اضطرت بعض من ثقيف إلى النزوح من الهدا، ووجدوا أن أحسن موضع ينزلون فيه هو الموضع المسمى «قها»(*) وما جاوره، فنزلوا فيه وبنوا لهم حصنًا في «قها» وكثر عددهم ويقال لهم «ثقيف ترعة»[1]. ولست أعلم من أين استقى الشيخ عبدالحي كمال هذه المعلومات. ومن غريب الصدف أنني وجدت بخط الوالد علي بن رابع الثقفي - غفر الله له - ما يؤيد هذا الرأي ونصه كالتالي: اسم الجد والنسب على عبدالعزيز عطيه رابع حسن يوسف عطية الشبعان الهدوي من بني عثمان من قريش أهل العمش، وكان ابنه حميد بن عطية أخو رابع يتولى الشياخة على ثقيف أيام عبدالمطلب(*) حين ذاك.. به بني يوسف وبني جاهل والشيخ درويش الجهري كان شيخ لبني جاهل، والشيخ الحرابي شيخ لبني يوسف هذا بعد أن شدوا من الأعمق بالهدا ونزلوا بلاد ثقيف ترعة[2]. وتواتر الخبر من مصدرين لابُدّ وان فيه شيء من الصحة والذي نجهله هو عدم معرفتنا بمصادر معلومات كل منهما.

والاحتمال المرجح لنزوح الثقفيين إلى جنوب الطائف هو المعاناة السياسية التي واجهوها خلال العهد الأموي والتي قادها ضدهم الخليفة سليمان بن عبدالملك.

(*) قها من قرايا بلاد ثقيف الكبيرة، وتقع على ارتفاع يُضاهي ارتفاع منطقة الهدا.

(١) عبدالحي حسن كمال، مجلة الطائف، عدد ٨٥، ١٤٠٧هـ، ص ١٣.

(*) عبدالمطلب هو الشريف بن غالب الذي تولى إمارة الحجاز سنة ١٢٦٣هـ (أحمد الخضراوي، اللطائف في تاريخ الطائف، ص ٨٢).

(٢) هذه المعلومات كتبها الوالد بخط يده ولست أعلم من أين أخذ هذه المعلومات (أنظر الملحق رقم ٢).

وتوضيح ذلك أن الوليد بن عبدالملك أراد تولية ابنه عبدالعزيز بالعهد من بعده، وأخذ موافقة وتأييد الحجاج بن يوسف الثقفي وأتباعه، ولما لم يتمكن من ذلك لوفاته قبل تنفيذ رغبته، انتقم سليمان بن عبدالملك من الثقفيين وقتل منهم من قتل مثل محمد بن قاسم الثقفي[1] وغيره؛ مما أدى إلى تفرق وهروب الثقفيين إلى أنحاء مختلفة في المناطق الجبلية كالهدا والشفا وبلاد ثقيف جهة الجنوب وأيضًا في ينبع. ومما يشجع على صحة الرواية الأخيرة الموقع الجغرافي لبلاد ثقيف الحالية، فهي تقع على رؤوس جبال صخرية شاهقة توحي بمنعتها ومدى الصعوبة التي سيواجهها من يريد الوصول إلى قاطنيها.

وعلى أية حال، فهذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وتوثيق وكل الاحتمالات التي ذكرناها واردة ونسبة الصحة فيها جيدة والله أعلم.

●●●

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٤، ص ٥٨٩.

الفصل الثاني

الحالة الطبيعية

* التضاريس.
* المناخ.



تقع بلاد ثقيف على مسافة مائة وأربعين كيلو مترًا من الطائف جنوبًا فوق جزء مرتفع من جبال السراة[1]. ويحدها من الشرق قبيلة بني مالك ووادي صيّادة، ومن الغرب قبيلة متعان بتهامة، ومن الشمال قبيلة بني الحارث، ومن الجنوب قبيلة بني ذبيان ومنهم قرية البردة التابعة إداريًا لمنطقة بلاد ثقيف.

وتمتاز بلاد ثقيف بطبيعة سحرية خلابة نظرًا لانتشار الأشجار الطبيعية على قمم الجبال العالية وعلى ضفاف الوديان المنحدرة الى مختلف الاتجاهات.

والأشجار الطبيعية التي تنمو في المنطقة هي: العرعر والعرعير والقُمّر والعُتم (الزيتون الجبلي) والشّث والقان (الياسمين الأبيض) واللوز والهيشر والضّرو الذي يوجد على جذوعه مادة اللبان المعروف، وهناك أيضًا شجر الشّذُن والنُّيم والصُّوم ونبات الطُّباق الذي يُستخدم في حالة تجبير الكسور، ونبات الضُّرم الذي يستخرج من ثمرته

---

(١) جبال السراة تمتد من الشمال إلى الجنوب مشرفة على ساحل البحر الأحمر الغربي من شمال مدين إلى اليمن، وهي نظرًا لقربها من الساحل الغربي فإن انحدارها إليه شديد وقليل المسافة، بينما انحدارها نحو الشرق خفيف وتدريجي، وسُميت جبال السراة «الحجاز» لأنها حجزت بين ساحل البحر الأحمر والنجاد الشرقية المرتفعة، وقد سُمي القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة، وسمي القسم الشرقي فيه نجدًا.

(فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ١٧).

مادة الفكس الطبيّة، وغير ذلك من الأشجار والنباتات التي حباها الله للمنطقة. وتتميز هذه الأشجار بديمومتها حيث كيّفت نفسها لمقاومة الجفاف الطويل والحرارة المرتفعة وذلك بوسائل منها: تعميق الجذور في التربة أو اختزان الماء في أجزائها، ومنها تحوير الأوراق أو تغطيتها بطبقة شمعية قليلة المسام للمحافظة على رطوبتها، وهي تختلف تبعًا لاختلاف كمية الأمطار المتساقطة سنويًا واختلاف نوعية التربة من مكان لآخر.

والجبال في بلاد ثقيف عالية جدًّا حيث يصل ارتفاعها إلى أكثر من ألفين وخمسمائة متر فوق سطح البحر كما في قمة جبل القرن. وتتميز الجبال بطبيعتها الصخرية التي تغطيها الأشجار المتنوعة وذلك لأن التربة الموجودة بين الأحجار متماسكة وحافظة للخصوبة، وهذا سر نمو وديمومة الأشجار على قمم الجبال.

وجبال المنطقة من نوع الجبال الانكسارية التي تمثل مجموعة سلاسل جبال الحجاز وعسير ومرتفعات اليمن، والتي تتميز بانحدارها الشديد نحو الغرب وتدرُّجها في الجهات الشرقية. وتنتشر بين أجزائها بعض الهضاب المتوسطة الارتفاع والغنية بالأعلاف، كما تنتشر فيها الكهوف[1] المختلفة الأحجام والتي غالبًا ما تستخدم لحفظ الأعلاف من التلف الذي تسببه الأمطار أو الحيوانات.

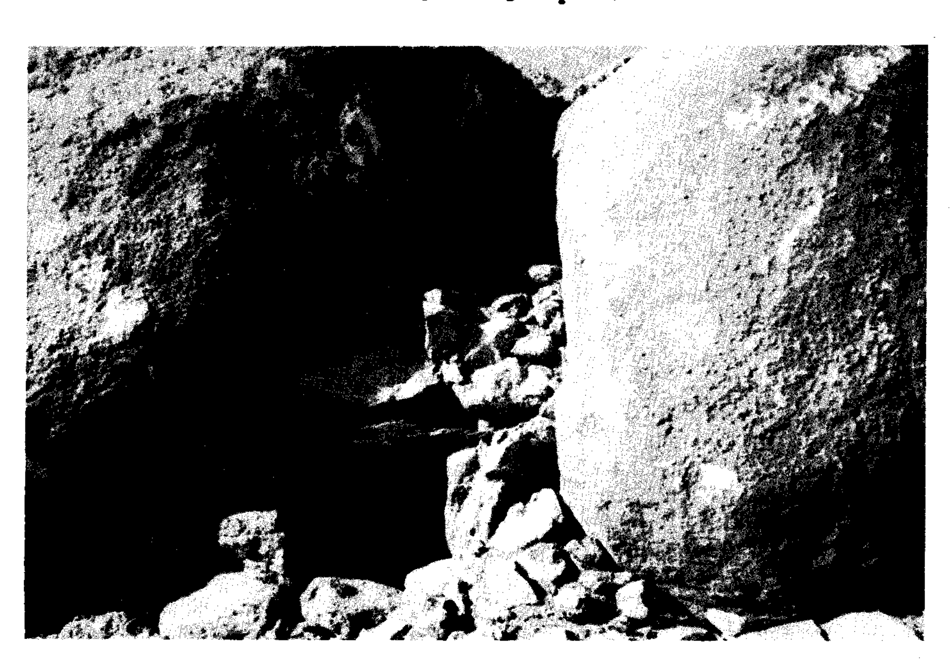
ومن الجبال العالية في المنطقة تلك التي تقع في شفا ثقيف ومنها: جبل «اللُّهام» وفي قمته يوجد صخرة كبيرة أسموها «اللهامة» وجبل «جُدمان» وقد تم فتح طريق للسيارة يصل إلى قمته حيث يستطيع الواصل إليها أن يرى بعض قرى بني الحارث وبني مالك نظرًا لارتفاعه عن سطح البحر بما يقارب ألفين وخمسمائة متر. ومن الجبال المعروفة

---

(١) الكهوف هي الغيران «مفردها غار» أو «الوقاب» مفردها «وقبة» كما هي تسميتها الشائعة عند الأهالي. والفرق بينهما أن الغيران غالبًا ما تكون في أعالي الجبال أو أواسطها أما الوقاب فتكون في أسافلها على مقربة من المزارع. وكان الناس قديمًا يستخدمون كلا النوعين كمساكن في فصول معينة من السنة، ولذلك اعتنوا باختيارها وتشييدها وتصميم أبواب مناسبة لها.



الغابات في جبل القرن في شفا ثقيف .



الوقبة ، ذلك الكهف الذي يحفظ فيه المزارعون أعلافهم وبعض مؤنهم الزراعية .

في شفا ثقيف جبل «تُيوس» ويقع إلى جانبه جبل أقل منه ارتفاعًا وأصغر حجمًا يُسمى جبل «التيس». وهذه التسمية لهذين الجبلين تبدو عجيبة، وقد سألت كبار السن فيما إذا كانوا على معرفة بسبب تسميتها، ولم أجِد جوابًا شافيًا. ويقع خلف جبل تيوس من الناحية الشرقية صخرة عظيمة اسمها «كُحيلة» وهي تشبه المتكأة وتطل على قرية المجاردة.

وفي مناحي ثقيف يوجد جبال مرتفعة منها جبل «بيضان» على الحدود بين ثقيف وبني مالك من الجهة الشرقية، وفي قمة هذا الجبل يعيش بعض السكان ويتوافر لهم الماء والكلأ. وهناك أيضًا جبل «غُمد» على حدود ثقيف من الناحية الشرقية، ويتميز بخصوبة أرضه ويتكاثر فيه شجر العرعر، ويعتبر مصدرًا مهمًا للتربة الخصبة لكثير من البُلد الزراعية التي تصل إليها مياه هذا الجبل حيث تحمل معها ـ وقت هطول الأمطار ـ تربة خصبة، ويقع إلى غربه وادي غمدا الذي يتميز بخصوبته ووفرة مياهه وانتشار المساكن والمزارع الحديثة فيه. أيضًا في مناحي ثقيف يوجد غرب قرية ترعة هضبة «حثواء» المتميزة بمنتزهاتها الجميلة ومزارعها الخصبة.

وفي الناحية الجنوبية الغربية لبلاد ثقيف يقع جبل «شهدان» والذي كان في الماضي موطنًا للحيوانات المفترسة وبخاصة فصيلة النمور، ولكنه في الوقت الحاضر يُعد من أجمل المنتزهات الطبيعية حيث قامت بلدية الطائف بوضع ملاعب للأطفال وتهيئة بعض مواقعه ليتمكن الأهالي والسواح من ارتيادها خلال الإجازات لاسيما وأن هناك قمة مرتفعة جدًا تسمى «القرن»[1] والتي أصبحت مزارًا لكثير من السواح في الآونة الأخيرة.

---

(١) تقع هذه القمة على ارتفاع ألفين وخمسمائة متر تقريبًا فوق سطح البحر، ويتميز هواؤها بالبرودة الشديدة، ويغطيها شجر العرعر والعتم «الزيتون الجبلي» ويرجع الفضل في إشعار بلدية الطائف بهذا الموقع المهم للأستاذ حسين بن عابد بن عمري الثقفي، حتى أن البلدية ـ مشكورة ـ قامت بتمهيد الطريق وترتيب وتهيئة المكان للمصطافين والزوار من جميع أنحاء المملكة.

جبل اللهام ويبدو في الصورة صخرة اللهامة في أعلاه.

المزارع المنتشرة بوادي غمدا بقرية ترعه.

ومن الجبال المعروفة غير التي أشرنا إليها، جبل الحمراء «خُشم الضّب»، وجبل الشرمان، والعصماء، والخيالة، وأعضب، والطويلة ونسيك.

أما وديان المنطقة فأهمها: وادي غمدا وصرار والفرعين وموقر والمدانة والغال، وتتميز هذه الوديان بانحدارها التدريجي، وعلى جوانبها تنتشر البُلد الزراعية بشكل تدريجي من أعلى الوادي إلى أسفله، وهي خصبة وإنتاجها جيد خاصة وأن الأهالي اهتموا بجدولة المياه من الجبال لإيصال المياه إلى البلد الواقعة على ضفاف الوديان بطريقة سهلة وسريعة.

وغرب المنطقة الجبلية في بلاد ثقيف تقع المنطقة المنخفضة (تهامة)[1] والتي تعتبر جزءًا من سهل تهامة الرئيسي الممتد من الشمال إلى الجنوب بمحاذاة البحر الأحمر والمنحصر بين سلسلة جبال السروات شرقًا والبحر غربًا. ولثقيف ـ كما لغيرها من المناطق ـ أجزاء تابعة لها في ذلك المنخفض، يُمارس فيها مهنة الرعي من قبل بعض السكان خلال الفصول الباردة. وقديمًا مارس الثقفيون تلك المهنة بنجاح حيث كانت الركيزة الاقتصادية الرئيسية لكثير من الأسر، إلا أنهم في الآونة الأخيرة تخلوا عنها وهجروها واختفت مهنة الرعي في ذلك الجزء المنخفض ما عدا أناس يُعدون على الأصابع.

والمناخ في بلاد ثقيف يتميز بالبرودة الشديدة شتاءً حيث تصل درجة البرودة إلى الصفر، واعتدال الجو صيفًا بما لا يزيد عن ٣٠ درجة سنتغراد. والأمطار غالبًا ما تسقط في فصل الخريف والشتاء حيث تهب الرياح الجنوبية الغربية المتشبعة بالرطوبة لمرورها على البحر الأحمر والمحيط الهندي. وهذه الرياح يُسميها الأهالي بالعوالي. أما في فصل

---

(١) أطلق على تهامة هذه التسمية لشدة الحرارة فيها وأحيانًا تسمى بالغور لانخفاضها. (ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٢، ص ٧٣).

الصيف فتتعرض المنطقة لهبوب الرياح الشمالية الشرقية الجافة، ويسميها الأهالي بالصّبا. وأورد الهمداني تسميتها بقوله: «رياح المشرق القبول التي يقابلها رياح المغرب الدبور»[1].

والأمطار يُصاحبها أحيانًا زخّات من البرد مما يؤثر على الإنتاج الزراعي في معظم الحالات، ويُصاحبها رعود وبروق عظيمة، ونادرًا ما يحدث تأثير للصواعق.

وفي الماضي تعارف الناس على تقسيم فصول السنة إلى خمسة أقسام على النحو التالي: الربيع «أربعة أشهر»، والصيف «شهران»، والقيظ «شهران»، والخريف «شهران»، والشتاء «شهران»[2]. ولكن الأصح يتفق مع الجدول في الصفحة التالية.

والتربة في المنطقة، هي تربة المرتفعات كما يسميها الجغرافيون وتعد من أخصب أنواع الترب لغناها بجميع العناصر المعدنية اللازمة للنبات، وهي صالحة لزراعة الحبوب والفواكه بأنواعها. ويوجد في بعض الأماكن أنواع من التُّرب الحمراء التي تزيد نسبة أكاسيد الحديد[3] وتعرف علميًا بتربة اللاتريت (Laterite)، وكان الأهالي قديمًا يستخدمون هذا النوع من الترب لصناعة بعض الأواني المنزلية وطلاء غرف المنازل من الداخل، وكان الاسم الشائع لذلك هو «الخُلبة».

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٠.

(٢) خير الدين الزركلي، ما رأيت وسمعت، ص ٢٢٠.

(٣) محمد صبحي عبدالحكيم، الوطن العربي، ص ٨٩.

الفصـــل	المدة التي تقابله من الأشهر الشمسية	اسـم البـرج[1]
الربيـع	من ٢١ مارس إلى ٢٠ إبريل من ٢١ ابريل إلى ٢٠ مايو من ٢١ مايو إلى ٢١ يونيو	برج الحمل برج الثـور برج الجوزاء
الصيـف	من ٢٢ يونيو إلى ٢٠ يوليو من ٢١ يوليو إلى ٢٠ أغسطس من ٢١ أغسطس إلى ٢٠ سبتمبر	برج السرطان برج الأسـد برج السنبلة
الخريـف	من ٢١ سبتمبر إلى ٢٠ أكتوبر من ٢١ أكتوبر إلى ٢٠ نوفمبر من ٢١ نوفمبر إلى ٢٠ ديسمبر	برج الميزان برج العقرب برج القوس
الشتـاء	من ٢١ ديسمبر إلى ٢٠ يناير من ٢١ يناير إلى ١٩ فبراير من ٢٠ فبراير إلى ٢٠ مارس	برج الجـدي برج الدلـو برج الحـوت

(١) هذا الجدول وضعه فؤاد حمزة وتتفّق بروجه الإثنا عشر مع ما يقابلها من الأشهر الشمسية وهي المعروفة عند أهالي المنطقة.
(فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٦٤).

الفصل الثالث

الحالـة الاجتماعيـة

* الأسـرة.
* القبيلة
* الزواج
* الكرم
* الأعياد والمناسبات
* الختان



في هذا الفصل سنلقي الضوء على الحالة الاجتماعية في بلاد ثقيف في مختلف أوجهها لكي نتعرف على طبيعة حياة السكان في المنطقة قديمًا وحديثًا لاسيما وأنه طرأ على الحياة الاجتماعية تطورات عظيمة في زمن قياسي.

وإذا ما أردنا الحديث عن الحياة الاجتماعية في المنطقة فإنه يتحتم علينا بادىء ذي بدء الحديث عن الأسرة بصفتها النواة الأولى والأساس الذي يقوم عليه النظام الاجتماعي في كل مجتمعات الدنيا ثم القبيلة التي تتكون من مجموعة الأسر وتنحدر في الغالب من أصل واحد، بعد ذلك نتحدث عن طرق الحياة الاجتماعية في ما يتعلق بالزواج ابتداءً من الخطبة واختيار العروسة حتى الدخلة والطلاق وما يتخلل ذلك من أمور وعادات متبعة، يتبعها الحديث عن شيخ القبيلة ومسؤولياته، وعادات وتقاليد القبيلة فيما يتعلق بالكرم والشجاعة والختان والأعياد والمناسبات.

الأسـرة:

والأسرة، الخلية الأولى في المجتمع تتكون - كما هو معروف في أغلب المجتمعات العربية - من الأب/ الأم/ الأبناء/ الجد والجدة، ووظائف كل فرد فيها اختلفت مقارنة بالماضي وتغـيّرت حسب التطورات التي رافقت المجتمع في السنوات الأخيرة. ففي الماضي كان الأب يتحمل المسؤولية كاملة فيما يتعلق بشؤون الأسرة، وكان الابن الأكبر في الأسرة يُشاركه مسؤوليات البيت والمزرعة، وكلما تقدم الأبناء في السن كلما شاركوا والـدهم في تحمـل المسؤوليات، ونظرًا لأن المجالين الزراعي والرعوي كانا من أهم المصـادر التي يعتمد عليها الناس في حياتهم المعيشية فقد كان الناس قديمًا يفضلون إنجـاب الأولاد على البنات لكي يشاركوهم مسؤوليات الحياة المعيشية والدفاع ضد الأعداء عند الحاجة. ومع ذلك فقد كانت هناك مشاركات إيجابية للمرأة مع الرجل ولكن في مجالات معروفة مثل جلب الحطب من الجبال القريبة من المنزل أو رعي الأغنام في الساحات المجاورة والقيام بأعباء المنزل أثناء الزراعة حيث كانت تقوم بمهمة تسوية الأرض بعد أن يحرثها الرجل بالثيران وهو ما يسمى قديمًا بـ «القصب»، وقد يساعدها

بعض نساء الأقارب، ويشارك الرجال معهن في هذه المهمة، ويُسمُّون هذه المشاركة بـ «العونة» أي المساعدة المشتركة من الجميع، وكانت العونة مثل الدَّيْن حيث إذا شاركت المـرأة أو شارك الـرجل جاره في تسوية الأرض فهو بمثابة قرض يجب سداده عندما يُفلحون أولئك أرضهم ويحتاجون إلى مثل تلك التسوية لها.

والأسرة في الماضي كانت تقلل من شأن المرأة على الرغم من مشاركاتها الإيجابية، فعندما يتحدث الرجل في مجلس ما ويأتي على ذكر اسم امرأة فإنه غالبًا ما يقول: «الله يُكـرمُكم» أو «ولكُم الكـرامـة» وهـذه الـظاهـرة كانت منتشرة في مناطق عديدة في المجتمعات حيث يقول حافظ وهبة في كتابه: «جزيرة العرب في القرن العشرين»:

«وإن شأن المرأة في نجد خير منه في الكويت والبحرين، فقد بلغ الامتهان بالمرأة في هاتين البلدتين أنه إذا ورد ذكرها في الحديث قالوا: أكرمك الله أو يكرم من سمع كما لو تحدثوا عن حيوان، وقد يبلغ الجهل ببعضهم فيقول: أُميّ أكرمك الله وكأنّ أمه شيء خبيث»[1].

إضافة إلى أن كثيرًا من الأسر كانت تمنع المرأة من الميراث، حتى أنها إذا طالبت بحقها تُعدّ ناقصة في نظر المجتمع، وبفضل الله ثم بفضل الوعي عند كثير من الناس وانتشار التعليم فقد خفّت هذه الظاهرة وتلاشت وإن كانت لا تزال موجودة عند فئات قليلة جدًّا خاصة عند أولئك الذين يعتبرون المرأة أقل مكانة من الرجل.

وبعـد أن أنعم الله على هذه البـلاد بالأمن والاستقرار منذ بداية عهد الملك عبـدالعـزيز ـ رحمـه الله ـ تغـير وضـع الأسرة الوظيفي حيث تعددت فرص العمل وأصبحت لها مدارسها الخاصة التي تهيأ لها العمل بعد التخرج في الأعمال التي تتناسب مع طبيعتها.

---

(١) حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١١٥.

وبينما كانت الحاجة ماسة إلى نزول المرأة ونساء الجيران وغيرهم إلى ميدان الزراعة لفلاحتها وتسوية أرضها، فقد وفّرت الدولة الإمكانيات الزراعية فأصبحت الآلة تقوم بهذا العمل فقلّت اليد العاملة في الأرض وتقلّص نزول المرأة إلى ميدان الزراعة. ولكن السلبية في هذا المجال هي اتجاه الكثير من أبناء القبيلة إلى الوظائف الحكومية وترك مزارعهم على الرغم من المساعدات السخيّة التي تقدمها الدولة للمزارعين، وهذه ظاهرة غير مرضية ونتائجها على مر الزمن سلبية.

والترابط الأسري في بلاد ثقيف قوي جدًا، وهو عكس الحياة الأسرية في المدينة، حيث تجد أحيانًا عدد الأسرة الواحدة بزيد عن الثلاثين من آباء وأبناء وأبناء أبناء يعيشون جميعًا في مسكن واحد، وولاء الأسرة للأرض قوي أيضًا، فمن العار أن يقوم الفرد ببيع جزء من أرضه التي ورثها عن أبيه، والذي يحدث منه ذلك يُعتبر غير كامل الرجولة في نظر المجتمع، لاسيما وأن فكرة الحفاظ على الأرض أساسها أن أفراد الأسرة الواحدة قد يكون فيهم العاجز أو الضعيف أو الأرملة وهذا الصنف قد لا يجدون في حياتهم ملجأ سوى ما ورثوه عن آبائهم فتكون الأرض الموروثة سندًا لهم عند الحاجة.

والمنازعات الأسرية غالبًا ما تُحلُّ في داخل الأسرة بواسطة كبار السن، والذي يخرج عن الأسرة يُعدّ شاذًا وخارجًا عن المألوف، وبهذا تجد الأسرة في القرية الواحدة كلما كانوا متعاونين على حل مشاكلهم وكلما كانت علاقاتهم الاجتماعية يسودها الإصلاح كلما كانت المشكلات والمنازعات والعداوات معدومة أيضًا.

ونظرًا لتمكن الإيجابية في العلاقات الاجتماعية بين الأسر، فقد تمثّلت هذه العلاقات في الزيارات المتبادلة بين الأسر في المناسبات المختلفة والتي أصبحت عادات متبعة توارثها الناس جيلاً بعد جيل على الرغم مما طرأ عليها من تغيير في السنوات الأخيرة نظرًا لتغيّر الأوضاع مما يقتضي عدم اتباع هذه العادات في حالات معينة.

ومن هذه العادات المتبعة عند الثقفيين أن الأسر تتزاور فيما بينها بطريقة أسموها قديمًا بـ «القهوة»، وغالبًا ما تكون الزيارة في حالة وصول المسافر بعد غياب طويل أو حالة المرض، أو الولادة. ففي الماضي كان السفر شاقًا نظرًا لانعدام وسائل المواصلات مما يجعل المسافر يستغرق أيامًا أو أشهرًا في بعض الأحيان ليصل إلى مدينة من المدن أو ليؤدي فريضة الحج، ولذلك فإن عودته سالمًا تعتبر في نظر أسرته وأقاربه ولادة جديدة له فيحتفلون بعودته ويبدأ الناس بزيارة أسرته مُهنئين بسلامة العودة، ولكن مع مرور الأيام تقلّصت هذه العادة لأن السفر أصبح ميسرًا ومريحًا لسهولة المواصلات مما جعل الزيارة تقتصر على حالات سفرية استثنائية كأن يبقى المسافر بضع سنين خارج بلده فهو والحالة هذه تنطبق عليه موجبات الزيارة لأفراد قبيلته.

أما الحالات المرضية والولادة فقد استمر الثقفيون في ممارسة الزيارات حسب تقاليدهم الأولى؛ وفي الماضي كانت الأسرة عندما تؤدي الزيارة على الطريقة المسماة «القهوة» تأخذ معها قليلاً من البن والهيل والزنجبيل إلى الأسرة المقصودة بالزيارة ونادرًا ما تذهب أسرة إلى أخرى بدون هذه الأشياء، وقد يكون السبب في أخذ الأسرة لهذه الأشياء معها هو أن الحالة المادية قديمًا لم تكن ميسورة عند كل الأسر وحتى لا تكون الزيارة عبئًا ثقيلاً على الأسرة المَزُورة فقد اتخذ الناس هذه العادة منهجًا لإزالة الإحراج عن بعضهم البعض، وقد يكون السبب أيضًا من باب تبادل الأذواق بين الأسر رمزًا للتآلف والمحبة.

وفي حالة الولادة كانت الأسر وما زالت تقوم بتقديم مبلغ من المال لأسرة المولود أو المولودة، وهو المصطلح المتعارف عليه بـ «الخُرصة» أي المباركة في المولود، وأحيانًا تقوم الجارة بصنع طعام خاص للنفساء مراعاة لظروفها الصحية. ويكون المبلغ مضاعفًا إذا كان المولود ذكرًا[1]، وهذه ظاهرة اجتماعية سلبية توارثها الناس جيلاً بعد

(١) من العادات التي كانت متبعة أنه في حالة الولادة بمولود ذكر تُطلِق عائلته عدة طلقات نارية بعد الولادة مباشرة، فيعرف الناس بأن المولود ذكر، ولا تزال هذه العادة تُمارس حتى يومنا هذا.

جيل، ولكن مع مرور الوقت تغير هذا المفهوم عند البعض وتغيرت تبعًا لذلك نوعية المبـاركة فبدأ الناس يستبدلون النقود بالهدايا الأخرى من طقوم ذهب وأسرّة أطفال وأطباق حلوى، دون التمييز بين الذكر والأنثى .

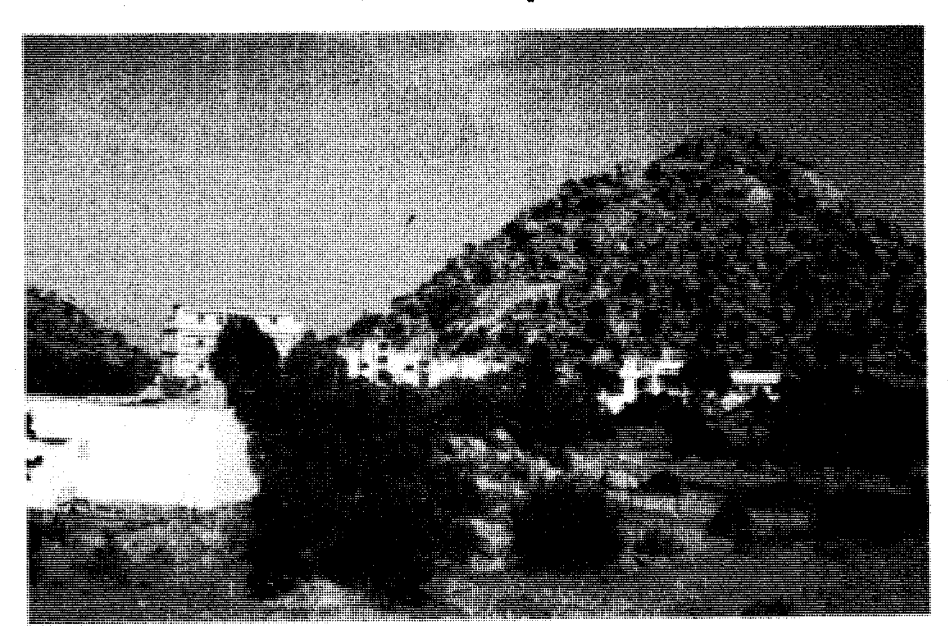
القبيلـــة:

والقبيلة في بلاد ثقيف تتكون من مجموعة من الأسر التي تنحدر من أصل واحد وهو الجد الأعلى للقبيلة، والذي سُميّت القبيلة باسمه، ولكل قبيلة شيخ هو المسؤول عن كل ما يقع فيها وهو بمثابة الأب الأكبر لها .

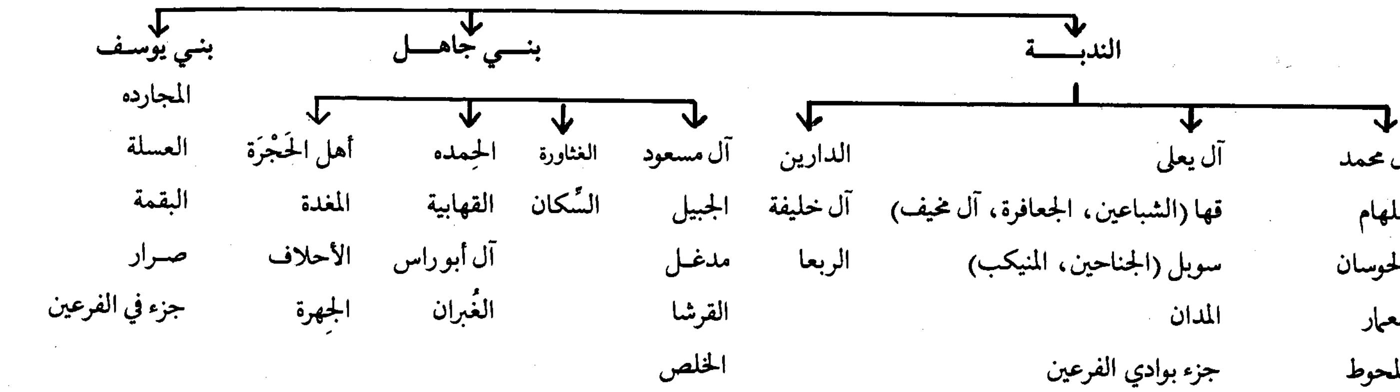
ومَشيخـةِ القبيلة مركـز اجتماعي متوارث منذ مئات السنين وموجود في معظم القبائل في الجزيرة العربية، وشيخ القبيلة يجب أن يكون من الشخصيات التي تتميز بصفـات قلّما توجد في غيره من أبناء القبيلة، كأن يكون راجح العقل صبورًا حليمًا وصاحب خلق فاضل لاسيما وأنه يتعامل مع نوعيات مختلفة من الناس فيهم الصغير والكبير والعاقل والمجنون والمتعلم والجاهل والصادق والكاذب .

وقديمًا كان الشيخ يتحمل مسؤوليات كبيرة تتعلق بشؤون القبيلة والذود عنها ومعالجة وحل مشكلاتها مع القبائل المجاورة، وكان ارتباط الفرد بالشيخ والقبيلة قويًا لحاجتـه الماسة إليهما. ففي الماضي لم يكن هناك آلات تستخدم للبناء ورفع الأثقال وللحرث وسقيا المزارع، ولم يكن هناك مواد بناء من اسمنت وحديد وما شابه ذلك ولم يكن هناك أجهزة كهربائية، ولم يكن هناك وسائل نقل حديثة، ولهذا عاش الفرد في حاجة أبناء قبيلته، فهم يساعدونه في بناء المنزل، وهم يساعدونه في حفر البئر وهم يسـاعدونه في نقل الأخشاب الثقيلة من الجبال، ولذلك لا يمكن أن يستغني عنهم ويجب أن ينقـاد إلى طاعة القبيلة مهما كلفه الأمر. وإذا ما فكر في عدم الخضوع لها فالجزاء المتعارف عليه هو مقاطعة الشّاذ عن القبيلة في كل أمر مما يجعله مع مرور الأيام يحتاج إلى قبيلته، ولهذا كله كان الشيخ هو السلطة الفعالة في عشيرته، رأيه مُطاع، وحُكمه سديد، وكلمته نافذة .

منظر جانبي لقرية قها بشفا ثقيف.



الفلل الحديثة بين الجبال في حيّ الجبيل الجديد.


قبائل بلاد ثقيف
الندبة
بني جاهل
بني يوسف
آل محمد
اللهام
الحوسان
العمار
المحوط
السدين
العريش
جزء في ترعة
جزء بوادي المدانة
آل يعلى
قها (الشباعين، الجعافرة، آل مخيف)
سوبل (الجناحين، المنيكب)
المدان
جزء بوادي الفرعين
جزء بوادي المدانة
جزء بترعة
الدارين
آل خليفة
الربعا
آل مسعود
الجبيل
مدغل
القرشا
الخلص
الشطبات
الغثاورة
السُّكان
الحِمده
القهابية
آل أبو راس
الغُبران
أهل الحَجْرَة
المغدة
الأحلاف
الجِهرة
المجارده
العسلة
البقمة
صرار
جزء في الفرعين

ويساعد الشيخ في أمور القبيلة الأعيان أو ما يسمى بالعُرفاء أو الخوامس حيث يُمثّـل كل خامس منهم مجموعة من الأسر في القبيلة الواحدة، فرأيه رأيهم وتصويته صوتهم وهـو الممثل الشرعي لهم أمام القبيلة وأمام شيخ القبيلة، وهؤلاء الأعيان لا يقلّون أهمية عن شيخ القبيلة من حيث الكفاءة، ورجاحة العقل وحُسن الخلق.

ومرت الأيام ودخلت منطقة بلاد ثقيف كغيرها من مناطق المملكة تحت مظلّة الوحدة التي حققها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وتغيرت موازين الحياة عنـد الناس، فالخوف أعقبه الأمان والظلم أعقبه العدل واستقرت حياة السكان في الجزيرة العربية وانتشرت المرافق الحكومية بأنواعها في كل بقعة من بقاع المملكة، وكان لبلاد ثقيف نصيب منها، وتوافرت الوسائل الآلية الحديثة في الزراعة والبناء والمواصلات والكهرباء كل ذلك ساعد على تخفيف أعباء شيخ القبيلة من مسؤولياته، وتيسر تبعًا لذلك جميع متطلبات المواطن وسهولة الحصول عليها بدون عناء. ولكن على الرغم من تخفيف مسؤوليات شيخ القبيلة، إلا أنه لا يزال يمثل قبيلته لدى الإمارة فهو الذي يعرف أفراد قبيلته، وهو الذي يشار إليه بالبنان ويكلف بالإصلاح بين المتنازعين إذا كانت المشكلات ليس فيها جناية أو مساس بالمصلحة العامة.

الـزواج:

الـزواج، سُنّـةَ الله التي فرضها على الأمة الإسلامية، وهو مطلب ديني أقرته الشريعـة، بواسـطتـه يستمـر النسل وتُعمّر الدنيا ويتم تنظيم الحياة الاجتماعية بين الناس، فقال تعالى في محكم كتابه: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ..﴾ الآية[1] وقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[2].

(١) سورة النساء، آية رقم ٣.

(٢) صحيح مسلم، جـ ٩، ص ١٧٢.

والزواج في بلاد ثقيف له عاداته وتقاليده والتي لا زالت متأصلة في نفوس كثير من الناس منذ القدم اللهم إلا بعض التجديدات التي طرأت نتيجة لارتفاع مستوى المعيشة، وزيادة الاندماج البشري واختلاف أساليب الحياة عما كانت عليه في فترات سابقة.

ومن العادات المألوفة عند الثقفيين الزواج في سن مبكرة، وعلى الرغم من إيجابية هذه العادة لأنها تحد من انحراف الشباب وتقضي على كثير من مظاهر الفساد الاجتماعي، إلا أن لها سلبية وهي أن الأوضاع الاقتصادية المتأخرة أوجدت بعض المشكلات لاسيما عند أولئك الذين يتزوجون قبل أن يحصلوا على أعمال وظيفية تُغطي ظروفهم المعيشية في حالة ما إذا لعبت الأقدار دورها في وفاة أولياء أمورهم الذين يعتمدون عليهم اعتمادًا كليًا، ففي هذه الحالة قد لا يستطيعون التغلب على مشكلات الحياة الاقتصادية مما قد يحدو بالبعض إلى اتباع أساليب غير مشروعةُ بغية جمع المادة مما يسيء إلى الدين والمجتمع في آن واحد. وفي هذا المجال يمكن القول بأن ما كان قديمًا جائزًا قد لا يكون في أيامنا هذه محتملاً نظرًا لتغير الأوضاع الاقتصادية التي حدّدت مسار المجتمع في عاداتهم وتقاليدهم سواء في الزواج أو غيره. ويستثنى من ذلك إذا كانت بعض الأسر ممن أنعم الله عليها برزق وفير ومصالح اقتصادية جيدة، فقد لا يشكل الزواج المبكر عند مثل هؤلاء نفس المشكلة التي قد يواجهها المُعسِرون.

وقديمًا كان الزواج في سن مبكرة عند أبناء القبيلة له أسبابه المقنعة، فمن ناحية، كان مستوى المعيشة مُتقاربًا عند الجميع فأبناء القبيلة يمارسون الزراعة والرعي ويعيشون جنبًا إلى جنب بلا فوارق ومنافسات. أيضًا كان الأب في حاجة إلى زيادة النسل خاصة من الذكور لمساعدته في فلاحة الأرض وحمل السلاح في حالة غيابه لحماية البيت والمزرعة. ولكن في الفترة المتأخرة تغيّرت تلك الأوضاع، فهجر الكثير من أبناء القرية قراهم إلى المدن بحثًا عن الوظائف وهجروا بذلك الزراعة والرعي، وحتى الوظائف أصبحت متوافرة في مناطقهم وبذلك اختلفت موازين المستوى الاقتصادي لكل أسرة وأصبح منهم الأغنياء وأصبح منهم الفقراء، وتبعًا لذلك أصبح الزواج المبكر

لمن لا عمل له أو لمن وضعه الاقتصادي لا يستطيع الوفاء بمتطلبات الأسرة مثله مثل غيره من أبناء القبيلة، خطوة غير مُفضلة لما ذكرنا آنفًا.

وقـديمًا كانت مظاهر الزواج بسيطة وليست مُكلّفة، فالمهور حسب المعلومات الثابتة كانت لا تتجاوز خمسين ريالاً[1]، ولكن مع مرور الزمن وارتفاع مستوى المعيشة أخذت المهور في الارتفاع تدريجيًا إلى المئات ثم الآلاف حتى أصبح في عهدنا الحاضر إلى مائة ألف ريال عند بعض القبائل في بلاد ثقيف مما قد يؤدي إلى عزوف الشباب عن الزواج أو البحث عن زيجات في أماكن أخرى بتكلفة أقل وبسببها كثرت العنوسة بين الفتيات. وعلى الرغم من التزام بعض القبائل في ثقيف بغلاء المهور، إلا أن البعض بادروا بالعودة إلى الأفضل وحددوا مهورهم بالقدر المعقول الذي يخدم المصلحة العامة لجميع الأطراف. فقبيلة آل يعلى على سبيل المثال قامت بوضع اتفاق فيما بينها ينص على أن يكون المهر بمبلغ ثلاثين ألف ريال، إضافة إلى خمسة آلاف أخرى مقابل الهدايا التي تسمى في العرف القبلي بـ «الكساء» جمع «كسوة».

وقـد صادق عرفاء القبيلة على هذا الاتفاق وصادق عليه رئيس القبيلة آنذاك الشيخ علي بن رابـع الثقفي ـ رحمه الله ـ وتم رفعه إلى المقام السامي في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وتم التصديق عليه ولا تزال القبيلة تتمشى بموجبه حتى وقتنا الحاضر.

---

(١) من الوثائق التي عثرت عليها، وثيقة مؤرخة بعام ١٣٦٦هـ تشير إلى اتفاق بين أعيان قبيلة آل يعلى على أن يكون المهر كعادته السابقة خمسة وخمسون ريالاً بالعملة الفرنسية ويكون الأثاث من مسؤوليات الزوج وهو: شملة وسحارة وثوب وقبيل وشيلة بأسعار متوسطة، وكسوة قرائب العروس عبارة عن قماش لمن يستطيع.
انظر الملحق رقم (٣).

والزواج عند الثقفيين يمر ـ كما هو في سائر المجتمع الإسلامي ـ بثلاث مراحل: الخطبة ـ الملكة ـ الدخلة أو الزفاف، وسنتحدث عن كل مرحلة منها بما يفي بالمعرفة التامة عنها.

فالخطبة هي المرحلة الأولى لعلاقات الرحم، التي يتحدد بموجبها معرفة العريس لعروسه. وقديمًا كانت الخطبة تتم وكل منهما لم يبلغ سن الرشد، والسبب في ذلك ـ كما يقول كبار السن ـ هو ليعرف القاصي والداني أن فلانة بنت فلان مخطوبة لفلان بن فلان فلا يتقدم لخطبتها أحد، وبعد أن أدرك الناس سلبية هذه الطريقة بدأوا يتخلون عنها شيئًا فشيئًا وإن كانت موجودة عند بعض الأسر إلى يومنا هذا لاسيما عند أولئك الفاقدين الثقة بأنفسهم.

والعادة المتبعة أن يقوم أهل الخاطب بعد اختيار الخطيبة بزيارة إلى منزل المخطوبة في ليلة غالبًا ما تكون ليلة اثنين أو جمعة تفاؤلاً، ومعهم مبلغ من المال وقليل من البن والهيل والشاي والسكر، وبعد الترحيب بهم من قبل أسرة المخطوبة يبدأ كبير الأسرة الوافدة بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ثم يقول: جئناكم خاطبين راغبين في ابنتكم فلانة لابننا فلان على سنة الله ورسوله. ثم يجيبهم المسؤول عن أسرة المخطوبة بالموافقة ورضاهم بما اختاره الله لابنتهم وذلك بعد استشارة المخطوبة واعلان موافقتها على الزواج إذا كانت ثيبًا أو سكوتها وهو يعني الموافقة إذا كانت بكرا[1].

وتحتفل الأسرتان في تلك الليلة حسب ظروفهما الاقتصادية، وأحيانًا تقوم الأسرتان بدعوة أقاربهم والجيران لحضور مناسبة الخطبة فيفرح الأطفال وترقص النساء

(١) في الحديث الشريف قال المصطفى ﷺ: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن، قيل: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال: إذا سكتت.» صحيح مسلم، باب النكاح" وعن ابن عباس قال قال ﷺ: الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن، وإذنها صماتها». متفق عليه ابن قدامى المغني، جـ ٧، ص ٣٨٠.

ويُزغردن ولكن بصورة أقل مما هي عليه في ليلة الملكة أو الدخلة. ويقوم الخاطب بوضع دبلة الخطوبة في يد المخطوبة اليمنى ويرافقه أثناء ذلك ولي أمره وولي أمر البنت أو أمها.

أما المرحلة الثانية من مراحل الزواج فهي المُلكة، وفي هذه المرحلة تتفق الأسرتان على تحديد الموعد الذي غالبًا ما يكون في ليلة اثنين أو جمعة تيمنًا ببركتهما، ويكون المدعوون في الغالب هم أقارب الأسرتين وأحيانًا تمتد الدعوة إلى بعض أفراد القرية من الأعيان.

وجرت العادة أن يأتي المُملك بعد صلاة العصر ونادرًا ما يأتي بعد صلاة المغرب، وبعد وصوله يحضر الشهود وأقارب العريس والعروس من كبار السن، وبعد عقد القران يقوم العريس بتقبيل رأس ولي أمر العروس ثم يقبل رؤوس الحاضرين من أقاربها، وبعد ذلك يذهب برفقة أحد أقارب العروس إلى مقر العائلة ليؤدي التحية لأم العروس ثم يأخذ عروسه ممسكًا بيدها إلى المنصة المعدة لهما.

وعلى المنصة يجلس العريس والعروس جنبًا إلى جنب ثم يقدم العريس لعروسته الشبكة وهي عبارة عن طقم وخواتم وسلاسل وما شابه ذلك من أنواع الحُلي الغالية كالذهب والابلتين والألماس والفضة. والمنصة هذه تسمى عند الكثير بـ «النصة» وهذه العادة لم تكن موجودة قبل نصف قرن سواء في مناسبة الملكة أو مناسبة الزفاف، ولكنها من العادات الحديثة التي دخلت إلى المجتمع السعودي بتأثير من المجتمعات العربية وخاصة مصر. وعلى الرغم من إيجابيتها كمظهر جميل يجمع بين الزوج وزوجته في أول لقاء لهما إلا أن السلبية فيها والتي يجب التنويه عنها والحث على تجنب حدوثها هي حضور عدد من النساء اللواتي لسن بمحرم للعريس فيجلسن مع أقاربه من النساء وينظرن إلى العريس وهذا عمل يتنافى مع الشريعة الإسلامية ولا يتفق مع العادات والتقاليد العربية الأصيلة، وبكل أسف إن هذه الظاهرة انتشرت انتشارًا عظيمًا في الآونة الأخيرة في المدن والقرى مما دعا إلى استنكارها وإظهار مساوئها. وعلى الرغم من

التزام البعض بأن تكون النصة مقصورة على أقارب العريس والعروس المُحرمين لهما، وهو الحل الأفضل، إلا أن بعض الأسر في الجانب الآخر لا تزال مُستمرة في هذا العمل وتعتبر من لا يتبع ذلك مُتخلّفاً حضاريًّا.

وقد أصبحت مناسبة الملكة لا تقل عن مناسبة الزفاف إلا قليلاً من حيث التكلفة ومجموع الحضور، والاختلاف الملحوظ هو أن حفلة المُلكة لا تمتد إلى الساعات المتأخرة من الليل كما هي في حالة الزفاف بل تنتهي في منتصف الليل على الأغلب.

والزفاف أو الدخلة يمثل المرحلة الثالثة في الزواج، وهو مظهر اجتماعي مهم ويحتاج إلى توضيح أكثر وتفصيل أدق، لاسيما وأن هذا المظهر مرّ بتغييرات اجتماعية عظيمة يجب الإشارة إليها.

وقديمًا كانت عادات الزفاف تختلف في أشياء كثيرة جدًّا عما هي عليه اليوم، فكان أقارب العروس يجتمعون في بيتها من الصباح للتهنئة والمشاركة في تزيين العروس، وبعد صلاة العصر يذهب إلى منزل العروس شيخ وأعيان القرية فيتناولون بعض القهوة، بينما يتم تجهيز بعض الجمال لنقل الأشياء الخاصة بالعروس. وغالبًا ما يكون الجمل المُخصّص لحمل العروس مُغطى ظهره بالقماش المطرز بالحرير وتُشدُّ عليه الشُّنط الكبيرة[1] المودعُ فيها الأغراض الخاصة بالعروس. ثم يبدأ المسيرة شيخ القبيلة أو من ينوب عنه وبرفقته أقارب العروس، وشاعر القرية، يتبعهم جمل العروس وجمال

(١) تسمى في اللغة العامية السحّارة وهي مصنوعة من الخشب المُغطى بطبقة من النحاس أو الحديد.

أخرى إذا كان العفش كثيراً، ثم النساء من أقارب العروس وهو ما يطلق عليهن باللغة الدارجة «المروحات»[1].

وقبـل وصولهم جميعًا إلى منزل العريس يقول الشاعر بعض الأبيات الشعرية المادحة للأسرتين (أسرتي العريس والعروس)، ثم يُردّد الرجال الأبيات الشعرية حتى يصلون إلى المكان المُعدّ لاستقبالهم فيستمر الرجال في اللعب لفترة قصيرة، يتناولون بعدها القهوة والشاي، أما النساء فيواصلن المسير حتى باب المنزل، وهناك يُنثر على رؤوسهن من فوق باب الدخول بعض اللُّباب (اللوز البلدي) والزبيب وهما من أشهر المنتجات الزراعية في المنطقة رمزًا للكرم والمحبة، وإشارة إلى ما تتمتع به أسرة العريس من حياة اقتصادية جيدة، بينما يصطفُّ على المكان من فوق باب الدخول عددٌ من النسـاء وهنّ مُمسكـات قطعـة قماش بيضـاء[2] ويرددن الـزغـاريد والترحيب بمقدم العروس، وغالبًا ما يكون هناك امرأة مختصة بالترحيب ولها خبرة واسعة فيه، فيصمت الجميع وتبدأ ترحب بالعروس مستخدمة عبارات تتميز بالسجع والترتيب وتتضمن مدح أسرة العروس واحدًا بعد الآخر حسب شهرة كل فرد منها، بالإضافة إلى مدح أخوالها والبارزين من رجال قبيلتها إذا كانت من قبيلة غير قبيلة العريس[*].

---

(١) المروحات هن المرافقات للعروس، وقد جرت العادة قديمًا أن يذهبن برفقة العروس إلى منزل العريس ويبتن ليلة ثم توزع عليهن أكسية، وفي اليوم التالي يعدن إلى منازلهن. والكسوة قديمًا كانت لا تتعدى قطعة من القماش الأسود يوازي «تفصيلة» بالمعنى الشائع، ثم أصبحت مبالغ مالية توزع بالتساوي بين أقارب العروس، وهذه الأخيرة ما تزال تُمارس حتى يومنا هذا.

(٢) كانوا يقومون بهذا العمل كرمز إلى أن أهالي العروس من ذوي الكرم والعزة والشرف وكأن صفحات حياة أسرتها بيضاء ناصعة.

(*) من هذه الكلمات على سبيل المثـال: أهـلًا وسهلًا ويا مرحبا، يا صبية يا نقية يا سلة الجنبية (تقصد الخنجر)، أهلًا وسهلًا ويا مرحبًا يا بنت الأجواد، من عهد الأجداد، أهلًا وسهلًا ويا مرحبًا عدد ما خطوا بالأقدام وعدد ما مشوا من اليمن إلى الشام أهلًا وسهلًا ويا مرحبا.

وبعـد وصـول النسـاء إلى منـزل العـريس يتنـاولن القهوة والشاي ثم بعض المأكولات الخفيفة[1]، ويبدأن بعد ذلك ألعابهن وزغاريدهن، وعادة ماتكون في النساء بعض الشاعرات من أمهات القرية اللاتي يُحيين ليلة الزفاف بالقصائد الجميلة.

ويتـوافـد على منـزل العريس العديد من الأسر من غير الأقارب ليشاركن في الاحتفال، وغالبًا ما يقمن بتقديم بعض الهدايا للعروس أو بعض النقود وهو ما يسمى عندهم بـ «الرفدة» أو البركة، وهي مساعدة تعارف عليها الناس وهي لا تزال موجودة حتى الآن.

ونظرًا لأن النصة لم تكن موجودة في الأيام السابقة، فكانت الطريقة المتبعة أن تقوم العروس بعد وصولها بقليل بصبِّ القهوة على الضيوف، وفي اليوم الثاني والثالث من العُـرس تذهب مع مجمـوعة من بنات القرية إلى البئر لجلب المياه على ظهورهن بواسـطة القرب (مفردها قربة) وهي مرتدية ثوب العُرس المسمى بـ «الصون» وهذا الثوب غالبًا ما يكون من صنع يدها حيث كان من المتعارف عليه أن العروس قبل زفافها بمدة كافية يشتري لها أهلها قماشًا وحريرًا ملونًا ورصاص وكل المتطلبات الخاصة بصنع هذا الثوب فتقوم بعمله وعمل غيره في فترة قد تتجاوز سنة أو سنتين، وهي عندما تقوم بصب القهوة وجلب الماء كأنها تقصد بذلك عرض زينتها وحليها، الذي غالبًا ما يكون من الفضة، أمام فتيات القرية. وللحفاظ على ثوب العرس من الماء فقد كانت العروس تلبس إزارًا من الجلد يمتد إلى رجليها وهو ما يسمى بـ «الرّهط»، والمصنوع من جلد الحيوان بعد دباغته جيدًا وبطريقة تجعله أنيقًا في شكله.

وكانت حفلة الزفاف تستمر أكثر من ليلتين يقوم العريس في كل ليلة منها بذبح ثور أو بقرة وبعض الأغنام، يتولى ذبحها وطبخها أبناء القرية، ثم يتقاسمون لحمها بعدد أفراد الأسر.

---

(١) ويسمونها بـ «اللّطف» وهي غالبًا ماتكون من الخبز والسمن والعسل.



ثوب الصُّـون الذي تلبسه العروس ليلة الزفاف وهو مصنوع من أنواع فاخرة من الحرير الملوّن بطرقٍ فنّيةٍ عجيبة

وفي المسـاء تُقـام العـرضة الشعبية ويتبارى الشعراء في مدح العريس، وبعد الانتهاء من الحفل يُقدم العريس الكسوة لكل شاعر وهي عبارة عن قطعة من القماش المزخرف يسمونها «المِصنَفْ» ومع مرور الزمن تغير الوضع واستبدل المصنف بالمشلح والهدايا النقدية كما هو في الوقت الحاضر.

وفي صباح كل يوم من أيام الزفاف يجتمع أبناء القرية الواحدة في منزل العريس لتنـاول طعـام الإفـطار المسمى عندهم بـ «الصباحيّة»، والذي يُعِدُّ هذا النوع من الإفطار هُم أقارب العريس حيث يقومون بعمل موائد العصيدة المعمولة من الدقيق بطريقة خاصة ويقدمون معها السمن البري والعسل البلدي في أوان خاصة مصنوعة محليًّا من الخشب تدعى بالصحون مفردها «صحن». وفي هذا اليوم «يوم الصباحية»

يتلقى العـريس وأقـاربه التهاني من جميع أفراد القرية والقرى المجاورة، كما يتلقون المبـاركـات التي غالبًا ما تكون نقدية وأحيانًا تكون من الماشية خاصة من الجمال أو الأغنام. ولهذه العادة «عادة المباركة» إيجابية عظيمة لأنها تساعد صاحب العُرس ماليًّا لاسيما وأن الناس في الماضي ليسوا على قدر كبير من الثراء، إضافةً إلى أن هذه العادة الطيبة تدل على مدى تعاون أفراد القرية أو القبيلة الواحدة ووقوفهم مع بعضهم البعض عند الحاجة، مما أدى إلى استمرارها والتأكيد على جدواها حتى يومنا هذا.

ومن مظاهر الزواج قديمًا رفع الراية البيضاء على منزل العريس وذلك تعبيرًا عن الشكر والاعتراف بالجميل لأهل العروس، ومدحًا لهم على أساس أنهم أهل شرف ومكانة في المجتمع، وقد زالت هذه العادة عند البعض، ولكنها بقيت عند قلة من أبناء القبيلة رغبة منهم في المحافظة على كل ما هو متوارث أو اعتقادًا منهم بأن رفع الراية البيضاء لا يزال في مفهوم كثير من الناس له مدلوله ومعناه القديم حتى في أيامنا هذه.

وفي الوقت الحاضر فإن المظاهر التي سبق ذكرها تغيرت وبعضها اختفى ولم يعد له وجود وبعضها استمر وتأثر بالتطورات الاقتصادية المتأخرة. فمن ناحية التكاليف فلم تعد مثل ما كانت عليه قديمًا، حيث أصبحت باهظة جدًا، يقوم المحتفلون فيها بذبح أعداد كثيرة من الأغنام والأبقار والجمال حتى اتخذ الموضوع في بعض الأحيان صفة المكابرة والافتخار بين رجال القبيلة ليرى الناس أن فلانًا ذبح مئات من الماشية ليلة زواجه أو زواج ابنه مقارنة بالآخر الذي لم يذبح إلا القليل. وهذه الطريقة ـ بالطبع ـ من العـادات المـذمـومـة التي لا يقرها الإسلام والعرف الحسن، وعلى الرغم من استمرارها إلا أن البعض من أفراد القبيلة أدركوا سلبيتها واتبعوا طريقة مفيدة لتجنب مثـل هذه التكاليف الباهظة، فاختاروا الفترة الصيفية موعدًا لإقامة الأعراس وذلك لتمتع الأغلبية بالأجازة الصيفية من ناحية، ومن ناحية أخرى لإمكانية تعدُّد الزيجات في ليلة واحدة مشتركة، فتقل تكاليف الحفل بتوزيعها بينهم. وقد لاقت هذه الطريقة نجاحًا في السنين الأخيرة حتى وصل عدد الزيجات في ليلة واحدة إلى خمسة عشر، في محفل واحد بتكاليف مشتركة.

أضف إلى ما حدث من تغير طرأ على الناس في مظاهر الزواج تلك الأمور الخاصة بفساتين الفرح والمستلزمات الأخرى، فبدلاً من الثوب المسمى بـ «الصُّون» الذي سبق ذكره، دخلت على الأُسر موضة الفساتين وغرف النوم وغيرها من أنواع التأثيث، حتى أن بعض الأسر تشترط ـ في أغلب الأحيان ـ بأن يكون الفستان كذا ومن نوع كذا، وأن تكون غرفة النوم من النوع الألماني أو الإيطالي أو الفرنسي، وكل ذلك بهدف المنافسة بين الأسر وكأن كل أسرة تريد أن تقول بأن تجهيزاتها ليس لها مثيل، ولا يوجد مثل هذا النوع من التأثيث في مكان آخر.

وشمل التغيير في مظاهر الزواج وسائل النقل، فبعد أن كانت الجمال الوسيلة الوحيدة لنقل العروس ومؤنها، استعمل الناس السيارات المختلفة على النحو التالي: يتم إحضار سيارة خاصة لنقل العروس وبعضًا من أقاربها وغالبًا ما تكون السيارة من النوع الفخم مثل الكدلك أو المرسيدس وتُزخرف جنباتها بالحرير والأضواء، وتكون هناك بعض السيارات الأخرى الخاصة بنقل النساء من أقارب العروس إضافة إلى سيارات نقل لحمل الأثاث الخاص بالعروس.

وبعد صلاة العصر يبدأ موكب العروس في المسير وعندما تكون على وشك الوصول من منزل العريس تدق البواري[1] بشكل متواصل ليعلم المستقبلون باقتراب وصول العروس ومن معها. ثم يستقبل رب الأسرة وأقارب العريس ضيوفهم، ويأخذ العريس عروسه بيدها ويسير بها إلى المنصة المعدة لهما. وبدلاً من أن ينثر على رأس العريس وعروسه اللوز البلدي والزبيب عند باب الدخول إلى المنزل كما كان قديمًا، أضيف إليهما النقود وبعضًا من الحلوى الجيدة والثمينة.

أما الترحيب بالعروس فقد بقي كما هو ولكن بواسطة التسجيل لا كما كان بلسان المُرحِّبة مباشرة، وقد جرت العادة مؤخرًا أنه في حالة الزفاف يقوم ذوو الشأن بالاتصال

(١) البوري هو المزمار أو البوق الذي يُستخدم في السيارات.

بمن لها خبرة في مجال الترحيب، وإعطاءها معلومات وافية عن العريس والعروس وأقاربهما لكي تتمكن هذه المختصة من تسجيل شريط كاسيت يتم إذاعته عند وصول العروس إلى منزل عريسها.

والثقفيون لم يتعودوا على احضار مطربة لإحياء الحفل والذي يقوم بهذا الدور من النساء اللاتي يُجِدْن قرض الشعر إضافة إلى استخدام آلات التسجيل والرقص عليها.

والصباحيه التي تحدثنا عنها تقلّصت تدريجيًا حتى اختفت تمامًا، وبدلاً من اجتماع الناس صباحًا للإفطار والمباركة والتهنئة أصبح هناك وجبة غداء في مكان الحفل المُعدّ، حيث يتقاطر رجال القرية والمباركون إلى ذلك المكان المعروف سلفًا حاملين معهم ظروفًا مختومة وبداخلها المباركات النقدية للعريس. ومن السلبيات في هذا الأمر أن بعضًا من المباركين يُغالي في ما يقدمه فيُعلن أمام الجميع بقوله: هذا مبلغ كذا مباركة لكم في كذا دون أن يضعها بداخل ظرف مما يؤثر على نفسية الفقير الذي لا يستطيع أن يتقدم بمبلغ كبير نتيجة لظروفه المعيشية وبالأخص إذا كان من أقارب العريس.

ويلحق بموضوع الزواج وما طرأ عليه من تطورات موضوع الطلاق الذي وصفته الشريعة الإسلامية بأنه أبغض الحلال إلى الله، وهو كما قال الرسول ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن هزل، النكاح والطلاق والرجعة»[1]. ومع أن الطلاق جائز في حالة عدم الوفاق بين الزوجين امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[2]، إلا أن المجتمع في بلاد ثقيف له نظرة قاسية جدًا على المطلقة، حيث يرون أن المطلقة لابد وأنها اقترفت ذنبًا بحق زوجها وإلا لما حدث طلاقها وفي هذه الحالة تذهب المطلقة ضحيّة هذه النظرة الاجتماعية القاسية حتى ولو كانت مظلومة وبريئة وذلك لأن الناس لا يعالجون قضية انفصال الزوجين وفقًا للواقع الذي حدث بينهما ولكنهم ينظرون إليه من زاوية واحدة من ناحية تصرفات الزوجة فقط.

---

(١) ابن داود، كتاب الطلاق، أو الموطأ، كتاب النكاح ص ٥٦.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٢٩.

والطلاق في بلاد ثقيف نادرًا ما يحدث وأغلب حالات الطلاق تحدث عند أولئك الذين تزاوجوا فيما بينهم بطريقة النكاح المسمى «بالشِّغار»(*) ونكاح الشِّغار غير جائز شرعًا وهو: أن يُزوِّج الرجل وليته رجلاً على أن يزوجه الآخر وليته وليس بينهما صداق. وقد نهى المصطفى ﷺ عن هذا النوع من النكاح حيث قال في حديث رواه مسلم عن ابن عمر: «لا شِغار في الإسلام»[1]. ومعروف شرعًا أنه في حالة تسليم المهر لكل زوجة فالزواج يقع صحيحًا وهذا رأي أبي حنيفة[2]. ولكن الإشكال الملاحظ في هذه الحالات أن البعض يسمون المهر حتى وكأن الموضوع ليس عليه لبسٌ من الناحية الشرعية، فيقوم فلان بتزويج ابنته أو قريبته لفلان من الناس بمهر مسمى مقابل أن يزوجه قريبته وإلا فلا زواج بينهما، وهذا يعني أن الزواج شكليًّا لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية ولكنه ضمنيًّا لا يختلف عن زواج الشِّغار المُحرم، ولهذا تَنجمُ بعد ذلك المشكلات بين الأسر التي تزاوجت على هذا الشكل، وفي أغلب الحالات يقع الطلاق. فإذا حدثت خلافات بين الرجل وامرأته وذهبت الزوجة إلى أسرتها فإن الزوجة في الأسرة المقابلة تذهب هي الأخرى إلى بيت أهلها إما دفاعًا عن أهلها تدفعها الحِميةُ والعنصرية وإما مضغوطًا عليها من قِبلِ أُسرتها لاستخدامها كسلعة مقايضة بين الأسرتين. وفي كلا الحالتين يؤخذ البريء بذنب المذنب خاصة إذا وصلت الأمور إلى مرحلة الطلاق فإذا ما تطلّقت واحدة فإن الأخرى مقرونة بها لاسيما وأن العلاقة وصلة الرحم بين الأسرتين قد فسدت بطلاق الأولى. وعلى الرغم من استمرار البعض في اتباع زواج الشِّغار بالطريقة التي ظاهرها الرحمة وباطنها من قبله العذاب، إلا أن الكثير ـ ولله الحمد ـ عادوا الى رشدهم وأدركوا سلبية هذا الاتجاه وما ينجم عنه من مشكلات لا تخدم المصلحة الخاصة والعامة وبدأوا بالفعل يقاومون كل من يمارس هذه الطريقة اقتداءً

(*) الشِّغار لغويًّا بمعنى الخلو والمراد به هنا خلو من المهر، وقيل إنما سمي شِغارًا لقبحه تشبيهًا برفع الكلب رجله ليبول في القبح، فيُقال شغر الكلب إذا رفع رجله ليبول. (الفيروز آبادي، القاموس المحيط ص ٥٣٥).

(١) سيد سابق، فقه السنة جـ ٢، ص ٥٤.

(٢) سيد سابق، فقه السنة جـ ٢، ص ٥٥.

بحديث المصطفى ﷺ: من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[1].

الكـــرم:

الكرم من الصفات الحميدة التي يمتاز بها الثقفيون ويعدونها من التقاليد التي يجب الحفاظ عليها حتى أصبح الكرم شعارًا يُفتخر به وأصبح الكريم مضرب الأمثال بين الناس وقدوة صالحة لغيره. وقد يكون المرء معسرًا ولكنه عندما يأتيه الضيف لا يتورّع في بذل كل جهد من أجل إكرامه حتى لو استدان من أجل ذلك.

وقديمًا كانت الضيافة عند الثقفيين مختلفة عما هي عليه اليوم نظرًا لتغير الأوضاع واختلاف الميزان المعيشي عند الناس مقارنة بالزمن الحاضر. فكان الضيوف عندهم على ثلاثة فئات: الضيف الخاص، ضيف المسجد ثم ضيف الجماعة.

والضيف الخاص هو من يأتي الى شخص يعرفه ويعرف مقر إقامته فيكون ضيفًا لديه، وفي هذه الحالة جرت العادة أن المُضيف يدعو عددًا من كبار رجال قريته للتحدث مع ضيفه ومشاركته وليمته، وجرت العادة أيضًا أن المدعوين من رجال القرية غالبًا ما يُقدمون الدعوة إلى الضيف ومُرافقيه مدفوعين بدافع الكرم أولاً ثم إشارة إلى أن مُضيفهِ ليس وحيدًا في قريته بل معه مُحبيه ورفقاءه الذين يقفون جنبًا إلى جنب معه حتى في حالة استضافته ضيوفه، وهذا مما يرفع معنوية الضيف والمُضيف على السواء.

وللضيف على مُضيفه الأمان خلال إقامته وعند مغادرته، فلو حدث أن اعتدى عليه أحد فإن على مضيفه الأخذ بثأره. وهذه العادة معروفة عند العرب بـ «الثلاث البيض» يستبيحون دم من يمسها وينكص بها وهي كما يسمونها: الضيف السّارح،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ٧٨.

والطنب السّابح وخويّ الجنب، فالضيف السارح هو الضيف الذي نزل على أحدهم وأكل عنده وسرح فإن قتله أحد في طريقه وجب على مُضيفه أن يأخذ بثأره فيقتل قاتله، والـطّنب السابح يعنون به طنب الخيمة الممدودة، وهو كناية عن الجار الملازم لجاره ملازمة الطنب، يعنون بذلك وجوب المحافظة على الجار والدفاع عنه والأخذ بثأره، وخويّ الجنب هو الرفيق وعندهم أن من سار معه سبع خطوات أصبح خويه ووجب عليه أن يقاتل معه ويحميه[1].

ولأن الـظروف الاقتصـادية قد تلعب دورها من ناحية تقدير الضيف وميزان استحقاقه من الضيافة فقد صنف المجتمع الضيافة الخاصة إلى فئتين سُميّا بالخفيف والثقيل[2]، والضيف الخفيف في نظرهم هو ذلك الذي لا يستحق أن يُقدم له أكثر من خبز وسمن وعسل، أما الثقيل فهو ممن يستحق ذبيحة أو أكثر.

أمـا ضيف المسجد فهو ذلك الوافد إلى القرية لأمر ما وهو لا يعرف شخصًا بعينه، وفي هذه الحالة غالبًا ما يذهب إلى مسجد القرية. وفي الماضي تعارف الناس على أن يكون ضيف المسجد بالتناوب بين أسر وأهل القرية الواحدة، فمرة عند هذه ومرة عند تلك حتى تشمل جميع أسر أهل القرية وهذا ما اصطلح عليه باسم «النايبة» والمسئـول عن النايبة يجب أن يذبح ذبيحة ويُهيء المكان المناسب ويتحمل مسؤولية وليمته كاملة. ونظرًا لاعتماد الناس قديمًا على الزراعة كمورد رئيسي لحياتهم فإن من يملك بُلدًا زراعية أكثـر تُحسب عليه نائبتـين بدلاً من واحدة وذلك مراعاة لظروف الفقراء من أسر أهل القرية.

---

(١) الزركلي، ما رأيت وسمعت، ص ١٩٩.

(٢) في السابق وصل الناس في هذا الشأن إلى درجة التندر والتسلية بمثل هذه المواقف، فقد أخبرني الشيخ حسين بن دخيل الله الثقفي من قرية الدارين ببعض النكت المرحة في هذا الموضوع أذكر على سبيل المثال واحدة منها بلغتها العامية. قال رجل لصاحبه: قادم عليك ضيف ثقيل هذه الليلة، فأجاب صاحبه: خلّه يجي وإن شاء الله يُصبح مثل الريشة. يقصد أنه سيصنفه من نوع الصنف الخفيف ويُطعمه خبزًا وسمنًا بدل الذبيحة.

وجرت العادة أن يُقدم المُضيف الذبيحة كاملة غير منقوصة ثم يُرحِّب بالضيف ويدعـوه للتفضـل على وجبتـه التي أُعدت إكرامًا له، فيقوم الضيف ويأخذ السكين ويقسّم الذبيحة إلى أجزاء صغيرة ويُبقي الرقبة وأحد جنبي الذبيحة لرفقاء المُضيف يقتسمونها بينهم أوصالاً صغيرة، أما المُضيف فيُخصص له قطعة من اللحم غالبًا ما تكون من رجل الذبيحة وهي ما تسمى بـ «الصائبة»، وإذا ما انتقل بعض الضيوف عند رفقاء المُضيف فإن كل واحد منهم يصطحب معه قطعة من اللحم يقدمها لمن يريد المبيت عنده وهي ما تُسمى بـ «الرّديدة». وبينما يتم توزيع الذبيحة على النحو السابق يقوم شخص آخر من الضيوف بتقطيع «الكبد» قطعًا صغيرة ومعها بعض الشحم ليتم توزيعها على الحاضرين قبل دُنوِّهم على الوجبة الرئيسية. وجرت العادة أيضًا أن يُقدَّم للضيوف قبل الوجبة الرئيسية بعض الحِساء «المرق» مُضافًا إليه بعض البصل والفلفل الأسود.

أما ضيف الجماعة فهو عبارة عن وصول مجموعة كبيرة من الرجال من قبيلة أخرى لأسباب مختلفة، فمنهم من يأتي لطلب المساعدة والعون منهم لضائقة ألّمت بهم، ومنهم من يأتي بقصـد التباحث والتشاور والوصول إلى حلّ مع شيخ وعرفاء القرية بسبب مشكلة أو حدث يخص كلا القبيلتين ويُطلق على مثل هؤلاء بـ «القَبل»، ومنهم من يأتي بسبب مناسبة زواج أو دعوة عامة من جماعة لجماعة.

وتختلف أعداد هؤلاء باختلاف أسباب مجيئهم ولكنهم في الغالب لا يقلون عن عشرة ولا يتجاوزون المائة، ويكون وصولهم بعد صلاة العصر، وبعد استقرارهم يبدأ رئيسهم أو من ينوب عنه بالسلام والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحديث عن أحـوال أراضيهم الزراعية وتوافر المياه والأحوال الصحية والأسواق التجارية عندهم وارتفاع الأسعار وانخفاضها وأخبار الماشية وكثير من المعلومات المختلفة الجوانب، ثم يختتم حديثـه بتـوضيح الأسبـاب التي جعلتهم يفدون إليهم والصلاة والسلام على المصطفى ﷺ. بعد ذلك يتولى شيخ القبيلة أو من ينوب عنه من المُضيفين الترحيب بهم والرد عليهم بنفس الأسلوب تقريبًا.

وإذا كان الوافدون من أجل مشكلة تحتاج إلى حل فغالبًا ما يسبق الحل النهائي التحكيم في القضية، والتحكيم يتطلب أن يقوم كل طرف بإعطاء لازمة وهي عبارة عن شعرةٍ ينتزعها المُتحدث باسم كل طرف من لحيته ويُسلمها للحكَمْ المُنتخب، إشعارًا منه بالتزامه وقبيلته بالحكم سلبًا أو إيجابًا، وأحيانًا تُستبدل الشعرة ببندقية أو خنجر وهو ما يسمى في العرف القبلي بـ «المعدال» وغالبًا ما يصل المتحاكمون إلى نتيجة وتنتهي المشكلة، وفي أحيان أخرى يختلفون وهنا يحكمُ الحَكَمُ على من لم يرض بالحُكم بالنّقا الذي قد يؤدي إلى الأخذ بالثأر مما يزيد المشكلة تفاقمًا.

ومع مرور الزمن ونظرًا لتحسن الأحوال الاقتصادية وتغير الظروف الاجتماعية واستقرار الأمن فقد حدثت تغييرات في كثير من الأمور في أحوال الضيافة، فلم نعد نسمع بضيف المسجد ولم نعد نسمع بالنايبة، وان سمعنا باستمرارية الضيافة الخاصة وضيوف الجماعة إلا أن شكل الضيافة والأسباب لم تعد كما كانت قديمًا، ولا يعني هذا أن أصالة الكرم والضيافة قد تضاءلت بل إنها قد زادت وتحسنت لاسيما بعد أن تيّسرت سبل المعيشة، وسُهلت وسائل النقل، وانتشرت الوسائل الحديثة في خدمة الولائم والمناسبات، ومن دلائل الكرم في بلاد ثقيف أن السكان في منازلهم الحديثة خصصوا أماكن خاصة لاستقبال الضيوف فقط.

الأعياد والمناسبات:

ثقيف كغيرها من مناطق المملكة تحتفل بالأعياد الإسلامية وهما عيدا الفطر والأضحى واللذان يتميز كل واحد منهما بمميزات خاصة به. وثبوت العيد في الماضي له طريقته الخاصة والتي تختلف تمامًا عن وقتنا الحاضر، ففي الماضي وقبل توحيد المملكة على يد المغفور له الملك عبدالعزيز لم يكن هناك وسائل إعلامية تساعد الناس على معرفة ثبوت العيد من عدمه، وكانت الطريقة المتبعة أنه عندما يثبت رؤية الهلال ويعلن عنه بصفة رسمية تقوم الجهة المسؤولة بإطلاق المدافع وإشعال النار على قمم الجبال للإعلان للناس بثبوت رؤية هلال العيد، ثم تقوم القبائل المجاورة بإشعال النار أيضًا

على رؤوس الجبال وإطلاق البنادق، وهكذا كلما رأت قبيلة نارًا على جبل تقوم هي الأخرى بإشعال النار حتى ينتشر الخبر بهذه الطريقة ويعلم به معظم سكان الجزيرة العربية في فترة معقولة[1].

وكانت قبيلة بلاد ثقيف مثلها مثل بقية القبائل الأخرى تستخدم هذه الطريقة، ولكن بعد أن توحدت المملكة على يد الملك عبدالعزيز - غفر الله له - في عام ١٣٥١هـ[2]، وبعد أن تم وضع الأسس الأولى للإصلاحات الحضارية في مختلف المجالات، كان المجال الإعلامي واحدًا منها مما يسّر على المواطنين وسائل الاتصال على مختلف المستويات، فأصبح الإعلان عن ثبوت العيد يتم بواسطة أجهزة الراديو والتليفزيون[3].

ومن مظاهر العيد في بلاد ثقيف أن المصلين في صباح يوم العيد وبعد الصلاة يصطفون للسلام على بعضهم البعض والتهنئة بالعيد، وهي عادة من أفضل العادات المتبعة في القبيلة وذلك لأنها تقوي أواصر المحبة والإخاء وتقضي على العداوة والبغضاء وتجعل أفراد القبيلة في مختلف قراها وكأنهم أبناء أسرة واحدة. ثم إنهم بعد ذلك يتزاورون في المنازل وفي ذلك طمأنينة للعجزة والمرضى فترتفع معنوياتهم عندما يقوم الناس بزيارتهم والحديث معهم في أيام الأعياد المباركة، وغالبًا ما يجد الزوار طعامًا مُعدًّا إضافة إلى الحلوى والقهوة العربية والطيب والبخور، والأمر السلبي في هذا المجال هو أن بعض الأسر تُبالغ في تقديم أصناف الطعام والحلوى لكي يُقال بأن ما قدموه يفوق ما قدمه الآخرون.

---

(١) أورد حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام، أن استخدام النار كوسيلة من وسائل المراسلة كان معمولاً به في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي في مناطق الشمال الافريقي حتى كانت الرسائل تصل من طرابلس إلى الاسكندرية في ثلاث ساعات بهذه الوسيلة.

حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ص ٣٤٤.

(٢) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، المجلد الثاني ص ١٨٠.

(٣) خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، ص ٣١٣.

وفي ليالي العيد يجتمع الأقارب مع بعضهم البعض في أُمسيات جميلة يتخللها الفرح والنكت والألعاب الشعبية. وبعد أن كان العيد في الماضي قليلَ التكلفة، فقد أصبح في هذه الأيام أكثر تكلفة فأسرف الكثير في الولائم، كما أسرفوا في توزيع كميات من النقود على النساء والأطفال أسموها بـ «العيدية». ووجه التكلفة في هذه الظاهرة أنها أساءت الى أرباب الأسر الفقيرة الذين لا يستطيعون مجارات ذوي القدرة على الإنفاق.

وعلى الرغم من أن عيد الفطر المبارك هو العيد الأصغر وعيد الأضحى هو العيد الأكبر حسب التسمية الشرعية إلا أنه ـ مع الأسف ـ أصبحت مظاهر عيد الفطر وابتهاج الناس بمقدمه يفوق بكثير استقبال الناس لعيد الأضحى حتى بدأ الكثير من الناس يتصورون أن العيد الأكبر هو عيد الفطر والعكس بالعكس وهذا الأمر يُخشى من تطبع الأجيال القادمة عليه حتى يصبح في أذهانهم حقيقة ماثلة وهي واقعيًّا على غير ذلك.

وفي عيد الأضحى يذبح الناس ضحاياهم وفقًا للشريعة الإسلامية ويتبادلون أجزاء الضحية فيما بينهم، وقد يشترك مجموعة في ضحية واحدة في ثور أو بقرة، ويتم توزيع بعضَ اللحم على الفقراء والمساكين، والملاحظ أن الناس في الفترة الأخيرة لا يجدون من يأخذ لحوم الأضاحي مما يدل على النعمة التي يعيشها أبناء المجتمع في هذا الوطن المعطاء.

ومن العادات المتبعة في عيد الأضحى أن الأقارب يجتمعون الليلة الأولى من أيام العيد في بيت أكبر الأسر لتناول طعام العشاء ثم يعملون ترتيبهم الخاص للوجبات حتى نهاية اليوم الثالث أو الرابع من أيام العيد. وعند بعض الأسر يبدأ الاجتماع الأسري اعتبارًا من ليلة عرفه ويستمر بعد ذلك.

وقديمًا كانت هناك مناسبات يحتفل الناس بها غير العيدين، ولكنها مع مرور الزمن انقرضت ولم يعد لها عندهم أي شأن. ومن هذه المناسبات «عيد المعراج» ويصادف اليوم السابع والعشرين من شهر رجب عندما عرج فيه الرسول ﷺ إلى السماء. وهذا العيد يُسميه البعض بالرجبية، وكان الناس في هذا اليوم يسافرون إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ويحرصون على صومه. وهناك عيد آخر يسمى عيد الصيف وهو اليوم الأول في فصل الصيف، وقد يكون سبب الاحتفال بذلك اليوم هو انتهاء فترة الشتاء الباردة التي يعاني منها سكان المنطقة لاسيما وأن بلاد ثقيف تقع على ارتفاع شاهق وجوّها شديد البرودة شتاءً، وكان الناس يعتقدون أن الفصل الصيفي يحمل معه الأمراض ولذلك فإن خير وسيلة لمقاومة وباء الصيف هو شرب السمن البلدي يوم عيد الصيف.

أما عيد النصف من شعبان فقد كان منتشرًا في جميع أنحاء الجزيرة العربية بما فيها منطقة بلاد ثقيف، على اعتقاد أن بئر زمزم تدفقت تحت أقدام إسماعيل بن إبراهيم الخليل في منتصف شهر شعبان وأنها تغور كل عام في هذا الموعد[1].

وفي الآونة الأخيرة دخل على المنطقة نوع جديد من المناسبات وهو الاحتفال بعيد الميلاد، وهي عادة مستوردة وعدوى مرضية جديدة، وعلى الرغم من عدم انتشارها عند الجميع إلا أنها موجودة ولا يمكن إنكار ذلك وخاصة عند طبقة الشباب.

الختان:

الختان سنة مؤكدة حيث قال ﷺ: «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»[2]. وفي بلاد ثقيف يسمى الختان «الطهار»[*] والمختون إسمه «طَهير» والأخصائي الذي يقوم

---

(١) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، جـ ٤، ص ٦٤٤.

(٢) أحمد بن حنبل جـ ٥، ص ٧٥، سنن أبي داود كتاب الأدب ١٦٧.

(*) الطهار مشتق من طهر، والطُهر بالضم نقيض النجاسة كالطهارة، والمُطهِّر هو المُنظِّف، الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٥٥٤.

بالعملية يسمـونـه «المُـطّهـر». والثقفيون كانـوا ممن يحرصـون على التزام هذه السنة والمحـافـظة عليهـا، لاسيما وأن النظرة الاجتماعية تضع عملية الختان من مُكملات صفات الرجولة.

وأخذ الختان دوره في التغيير في المنطقة، ففي الماضي كان الختان يتم في سن متقدمة حيث لا يقل سن المختون عن ست سنوات ويصل البعض إلى خمس عشرة سنة. وغالبًا ما يكون الختان لمجموعة من أبناء القرية الواحدة حيث يُعرف عددهم ويُحدد يوم معين للختان، ثم ترفع الأعلام البيضاء على كل منزل فيه طهير وفي ذلك إشارة إلى مكانة أخواله الاجتماعية وأنه فخور بالانتساب إليهم.

وتبدأ مراسم الختان «الطُّهار» في الصباح الباكر بعد أن يكون معظم أهالي القرية على علم بذلـك، فيجتمعـون في مكـان واحد. غالبًا ما يكون وسط القرية ومعهم بنادقهم البارودية «قداديح ومفاتل»(*)، ثم يُؤذن فقيه القرية في أُذن الطهير اليمني ويُقيم في أُذنه اليسرى، فيتقدم المطهر وبيده موسًا حادة فيقطع الجلدة التي على رأس الذكر والمسماة بـ «الرُّغلة»، وأثناء عمله هذا يقول المطهر للطهير: «ابشر والله يا فرحيّك» أي يا حظك ونصيبك الطيب. وأحيانًا يحمل الغلام السكين الحادة ويعطيها المطهر ويقول له: «طهّر يا مطهّر وجوّد التطهير»[1]. وقديمًا كان الختان يتخذ صورة قاسية لا تُطاق وهي قيام المُطهر بسلخ أكبر جزء من جلد الطهير غير «الرغلة» وهذه العادة سيئة للغاية لما فيها من العذاب وشدة الألم. والويل والعار لمن لا يتحمل ذلك حتى أنهم من باب

(*) مفـردها قداحي وقد قل استخدامها اليوم، وكانت تشحن من البارود ويُدكّ بواسطة سلك يسمى بـ «المِشحان»، ويوضع في أسفل قصبتها زردة يُضغط عليها بواسطة الزِّناد فتشتعل وتُشعل البارود في داخل القصبة فتثور ويكون لها صوت قوي يُسمع من أماكن بعيدة.
أما المفتل فهي شبيهة بالقداحى إلا أن قصبتها أطول وليس لها زردة بل مثبت في أسفلها فتيل مشتعل رأسه يمكن استخدامه بسهولة لاشعال البارود من أسفل القصبة.

(١) الزركلي، ما رأيت وسمعت ص ١٩٥.

التشجيع يمسك الطهير بخنجرين إحداهما في اليد اليُمنى والأخرى في اليد اليسرى لكي يتحمل ويظهر أنه شجاع أمام الحاضرين ومنهم أمه وقريباته من النساء، فإذا ما حدث غير ذلك أو بكى من شدة الألم فإن ذلك يُعدّ عارًا عليه وعلى أسرته وأخواله حيث يصفـونه بأنه «رخمه» أي ضعيف مثل طير الرخمة الذي يتصف بجبنه وضعفه مقارنة بأقرانه في الحجم من الصقور والطيور الأخرى، وغالبًا ما يرفضن الفتيات الزواج منه، وهذه الحالة كانت سائدة عند معظم قبائل العرب في جبال السراة[1].

ويعـد أن تنتهي عملية الختان لجميع الغلمان يقوم رجال القرية بالظهور على منازل المختونين واحدًا بعد آخر وهم يطلقون أعيرتهم النارية لفترة من الزمن على كل منزل ثم يعودون إلى مكان أُعد خصيصًا للعرضة الشعبية «الزير» احتفاءً بتلك المناسبة.

ومن أشهر الذين عرفوا بهذه المهنة ونجحوا فيها: علي بن عبدالله الثقفي ـ رحمه الله ـ زيد المخواني ـ رحمه الله، حسين العرابي، على العقربي ـ رحمه الله ـ ثم ابنه من بعده دخيل الله، حسين بن فطيس الثقفي المعروف بـ «بشران»، عبدالله بن عبيدالله الثقفي، حامد بن عبدالمحسن الثقفي، أحمد بن حامد الثقفي والمعروف بـ «دحدح»، عطية بن محمد الثقفي وأحمد البخ.

أمـا ختان البنات فهو موجود ولكنه لا يأخذ بالطبع المظهر المعتاد كما هو عند الأولاد، وغالبًا ما يكون ذلك داخليًا عند الأسرة فقط حيث تقوم الخبيرة بهذه العملية بربط البظر بحبل رفيع جدًا بعد أسبوع من ولادة البنت ولمدة خمسة إلى سبعة أيام لكي يقف الدم عن الجزء المربوط فيسقط ويسهل استئصال رأس البظر.

هذا ما كان من أمـر الختـان في الماضي وقبل أربعين سنة تقريبًا أما في الوقت الحاضر فقد اختلف الوضع حيث أصبحت عملية الختان فردية وتتم في معظم الحالات

---

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ١٢٥، الزركلي، ص ١٩٦.

في المستشفى خلال الأسبوع الأول من الولادة بالنسبة للأولاد، أما بالنسبة للبنات فكثير من الأهالي لا يقومون بختانهن. أيضًا مظاهر الفرح اختلفت، فبعد أن كان الفرح يعم كل أسر القرية لتعدد المطاهير أصبح الآن خاص بكل أسرة، والشيء الذي ما يزال موجود هو قيام أسرة الطهير بذبح ثور أو بقرة أو عدد من الأغنام وتوزيعها على أهالي القرية لإعلام الناس بأن فلانًا رزقه الله بمولود ذكر وهذا يوم ختانه.

الفصل الرابع

الحالـة الثقافيـة

* التعليـم.
* الشعـر
* القصـة والفـوص
* الطـب
* الآثـار



الحالة الثقافية في بلاد ثقيف كغيرها من مظاهر الحياة الأولى مرت بتغيير تدريجي كان في بدايته بطيء ثم أصبح في وقتنا الحاضر من المظاهر البارزة مثلها مثل بقية مناطق المملكة العربية السعودية.

ففي الماضي وقبل القرن الثاني عشر الهجري وصلت الجزيرة العربية إلى أقل درجة من التضعضع والانحطاط حيث انتشر فيها فساد الأخلاق وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة وغشى الدين الإسلامي غاشية سوداء فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة محمدًا ﷺ ثوبًا من الخرافات وقشورًا من الصوفية، وخلت المساجد من المصلين وكثر عدد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء المساكين يخرجون من مكان الى آخر وهم يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ ويوهمون الناس بالحج إلى قبور الأولياء والتماس الشفاعة منهم[1].

ووصف الشيخ عثمان بن بشر حالة الجزيرة آنذاك بقوله:

«فكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذرة لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام

---

(١) أمين سعيد، سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب ص ٢٠٩.

لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر»[1].

كانت هذه هي الحالة السائدة في الجزيرة العربية قبل القرن الثاني عشر الهجري وكانت بلاد ثقيف واحدة من مناطق الجزيرة، ويشاء الله تعالى أن يهيء للجزيرة من يُنقذها من هذا الظلام الدامس ويُعيد الإسلام إلى مجده وعزته ويقضي على دابر الشرك والضلال والفساد والطغيان، وقد تجسّد هذا الإنقاذ بالمصلح الديني محمد بن عبدالوهاب[2] ـ رحمه الله ـ وآزره في جهاده سمو الأمير محمد بن سعود المؤسس الأول للبيت السعودي[3] وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

وتتابع اهتمام الدولة السعودية في أدوارها الثلاثة في القضاء على الفساد وتنمية الوعي الديني والثقافي في نفوس الناس، واتُخِذت جميع التدابير اللازمة في ذلك، وشُجّع العلماء والمتعلمون في مختلف الأنحاء مما أدى إلى تراجع الجاهل وتنبه الغافل وتوبة المسيء وإيمان المشرك.

وشهد عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ نقلة حضارية جامعة نافعة حيث أولى جل اهتمامه للمجال الثقافي والتعليم الديني ودعوة الناس إلى الخير والإصلاح، واتخذ في سبيل تحقيق ذلك الوسائل كافة لكي يضمن عدم عودة الناس إلى عهودهم الأولى ولكي لا يكون للجهل بأمور الدين مكان في دولته، وشمل برنامجه الإصلاحي بلاد ثقيف أيضًا كجزء من المملكة العربية السعودية ومن حُسن الصدف أنني عثرت على ما يثبت هذا الاتجاه للملك عبدالعزيز في وثيقة موجهة من أمير الطائف الشيخ عبدالعزيز بن فهد بن معمر إلى الوالد علي بن رابع الثقفي ـ رحمهما الله جميعًا، وفيها ما

---

(١) عثمان بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ ١، ص ٦.

(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٣٥.

(٣) أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، جـ ١، ص ٤٩.

يدل بالتأكيد على حرص حكومة الملك عبدالعزيز على استتباب الأمن واستقامة الحياة الدينية والحرص على عدم انتشار الفساد والضلال ومراقبة ذلك ومعاقبة كل من يخالف منهج الله في أرضه ويسيء إلى دينه[1].

والإيماءة السابقة عن الوضع العام لما كانت عليه الحالة في جميع الأنحاء قديمًا لا يعفينا من استعراض ودراسة الحالة الثقافية في بلاد ثقيف وما طرأ عليها من تغيير في جوانبها المختلفة.

التعليـــم:

التعليم كمظهر ثقافي رئيسي في المنطقة مر بمراحل عديدة حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم. ففي الماضي لم يكن في القرية الواحدة من يعلم القراءة والكتابة سوى إمام المسجد والمعروف باسم «الفقيه»[2] وهو الذي يؤم الناس في الصلاة وهو الذي يعقد الأنكحـة ويقوم بكل عمل له علاقة بالكتابة كالاتفاقيات في البيع والشراء وما شابه ذلك. وكانت مادة الكتابة في الماضي تُؤخذ من حبر «الفُقاش» وهو قشور اللوز، يُدقّ ثم يُحرق فَيُضاف عليه قليل من الماء فيُصبح كالحبر الأسود.

وأوّل ما بدأ التعليم في المسجد حيث يجتمع الأولاد حول الفقيه على شكل حلقة فيُعـطيهم الدرس مقابل مبلغ زهيد من المال من كل طالب، ومن لم يجد مالاً يدفع مقـدارًا من القمـح أو الشعير. وكان الآباء يحرصون على أن يتعلم أولادهم القرآن والحديث والفقه وكان الطالب الذي يحفظ جزء عم يحتفلون به في المسجد وأيضًا في البيت.

---

(١) انظر نص الوثيقة في الملحق رقم (٤).

(٢) توارث الفقهاء مهنة التعليم وما زالت هذه الأسر تحمل هذا اللقب لقب «الفقهاء» إلى اليوم حيث يوجد في قرية قها آل حسان وفي قرية ترعة الجعرة، وفي المجاردة الأشراف وفي الجبيل الرضاوين.

وكان من يرغب في الاستزادة من العلم يُسافر إلى القبائل المجاورة أو إلى مكة المكرمة مقر العلماء من كل أنحاء الأرض فيتعلمون ويعودون يُعلمون مُبتغين الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

والمعلم لم يكن له طريقة معينة في تدريسه فكان يستخدم ألواحًا خشبية مطلية يكتب عليها الحروف الهجائية فيقرأها أمام الدارسين وهم يلفظونها بعده حتى يحفظونها، وهكذا حتى يتمكن الدارس من معرفة الحروف وربطها ببعضها البعض، وكان وقت الدراسة على فترتين صباحًا ومساءً، وإذا ما طرأ بعض الظروف فالمعلم ـ اجتهادًا منه ـ يلغي اللقاء ويُحدد بدله موعدًا آخر.

واستمر التعليم على المنهج السالف الذكر حتى أراد الله وبدأت الحالة الثقافية مرحلة جديدة في عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ فأخذ التعليم يشق طريقه إلى المنطقة، وافتتحت أول مدرسة ابتدائية في قرية قها عام ١٣٧٢هـ على الرغم من صعوبة المواصلات آنذاك حيث كانت الطرق غير معبدة وكانت السيارة تصل إلى قرية الصور ببني الحارث مما يجعل المدرس يقضي يومًا أو يومين حتى يصل إلى مكان المدرسة. ومع ذلك سارت قافلة التعليم وبدأ الناس يشعرون بقيمة العلم والعلماء، وكان لتشجيع الدولة الأثر الكبير في ذلك لاسيما وأنها هيأت الفرص والإمكانيات لكل من يرغب العلم والسير في ركابه.

واليوم، وتحت ظل هذا العهد الزاهر وصلت الحالة التعليمية في بلاد ثقيف إلى مكانة ممتازة فاقت كل التصورات فعلى الرغم من صِغَر مساحة المنطقة، فقد انتشرت فيها المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات، ومدارس تحفيظ القرآن الكريم، وقامت الدولة مشكورة ممثلة في وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات بتأمين الكتب المجانية وبناء المدارس الحكومية وتوفير الخدمات التعليمية والصحية كافة كل ذلك من أجل القضاء على الأمية وإسعاد المواطن وتهيئة السبل العلمية النافعة.

وخرّجت مدارس المنطقة الكثير من أبنائها الذين ساهموا مع إخوانهم من أبناء بلدهم في المملكة العربية السعوديةلا في مختلف الأعمال الوظيفية حيث أصبح منهم من يعمل في الخدمة التدريسية ابتداءًا من المرحلة الابتدائية حتى الجامعية، ومنهم من سلك القطاع العسكري وحصل على أعلى الرتب، ومنهم من سلك علوم الطب والهندسة والطيران، وجميعهم يقومون بخدمة وطنهم كلٌ في ما يخصه.

وكان لجهود المخلصين في إدارة التعليم بالطائف منذ البدايات الأولى للتعليم في المنطقة ـ كان لجهودهم ـ الفضل الكبير في دعم الحركة التعليمية وتشجيعها. وأخص بالذكر من هؤلاء: فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن آل الشيخ الذي شغل منصب إدارة التعليم بالطائف في الثمانينات ثم أعقبه الأستاذ عبدالعزيز العبدان، ثم الأستاذ عبدالله الحصين رئيس تحرير جريدة المدينة حاليًا، والأستاذ سعد عبدالواحد مدير التعليم الحالي.

وإذا ما ألقينا نظرة على تطور التعليم بالنسبة للبنين في المنطقة، فإن ذلك يظهر من تعداد المدارس الموجودة والتي لبّت احتياج الأهالي، ووفرت كل سبل الراحة والطمأنينة لأبنائهم فبدأت نواة التعليم المنظم منذ أن أمر الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود بتأسيس مدرسة قها ثقيف الابتدائية في عام ١٣٧٢هـ ـ كما أشرت إلى ذلك ـ والتي لها الفضل الأول بعد الله تعالى في تخريج العديد من أبناء المنطقة الذين مارسوا وما يزالون يمارسون مسئولياتهم العلمية والعملية في مختلف القطاعات في المملكة العربية السعودية ثم أعقب ذلك تأسيس المدارس تباعًا في مختلف القرى وفقًا للترتيب الآتي:

اسم المدرسة	سنة التأسيس
مدرسة قها ثقيف الابتدائية	١٣٧٢هـ
مدرسة ترعة ثقيف الابتدائية	١٣٨٠هـ

مدرسة المجاردة الابتدائية	١٣٨٠هـ
مدرسة قها ثقيف المتوسطة	١٣٨٨هـ
مدرسة العمار الابتدائية	١٣٩٠هـ
مدرسة الخلص الابتدائية	١٣٩٢هـ
مدرسة ترعة ثقيف المتوسطة	١٣٩٦هـ
مدرسة قها ثقيف الثانوية	١٤٠٠هـ
مدرسة ترعة ثقيف الثانوية	١٤٠١هـ
مدرسة المجاردة المتوسطة	١٤٠٤هـ

ويقوم بالتدريس في هذه المدارس وطنيون مؤهلون إضافة إلى بعض المتعاقدين من الدول العربية الشقيقة لاسيما في المرحلتين المتوسطة والثانوية. والمدارس في معظمها في مبانٍ مستأجرة ما عدا ثلاث منها هي: مدرسة قها ثقيف الابتدائية، ترعة ثقيف الابتدائية، وترعة ثقيف المتوسطة(*).

وأعطت النهضة التعليمية الفتاة نصيبها، وانتشلتها من الواقع السابق الذي كانت تعيشه وهي محرومة من التعليم، وكان للاهتمام والرعاية التي تقدمها الرئاسة العامة لتعليم البنات منذ تأسيسها كجهاز مستقل يرعى شئون الفتاة السعودية عام ١٣٨٠هـ[1] دورٌ بارزٌ في الإقبال والتحصيل حتى أصبح لفتيات المنطقة مكانهن في الوظائف الحكومية التي تتناسب مع وظيفة المرأة مثل التدريس والخياطة والتمريض، وواصل البعض منهن دراستهن في الجامعات لاسيما في التخصصات العلمية كالطب والرياضيات وحقّقن نجاحًا ملموسًا.

(*) هذه المعلومات مصدرها إدارات مدارس البنين بالمنطقة.

(١) الرئاسة العامة لتعليم البنات في سبعة عشر عامًا، الرياض - ١٣٨٠-١٣٩٧هـ.

وكـان لتشجيع ومتابعة مدراء تعليم البنات بالطائف ابتداءً من الشيخ قاسم الفالح وانتهاءً بمدير التعليم الحالي الشيخ صالح الزير، كان لهم الأثر الملموس في توفير الخدمات العلمية وفتح المدارس بالمنطقة. والجدول التالي لتأسيس المدارس بالمنطقة يوضح لنا كيف خطت المسيرة التعليمية لتعليم الفتاة خطوات فعالة وإيجابية من أجل مواكبة النهضة التعليمية بالمملكة العربية السعودية.

اسم المدرسة	سنة التأسيس
الأولى بقها ثقيف الابتدائية	١٣٨٩هـ
الأولى بترعة ثقيف الابتدائية	١٣٩٣هـ
الأولى الابتدائية بالمجاردة	١٣٩٤هـ
العمار الابتدائية	١٣٩٦هـ
متوسطة قها الثانوية ثقيف	١٣٩٧هـ
العمار المتوسطة	١٤٠٢هـ
متوسطة المجاردة	١٤٠٣هـ
معهد المعلمات بقها	١٤٠٣هـ
البردة بثقيف الابتدائية	١٤٠٤هـ
ثانوية قها بثقيف	١٤٠٦هـ
ثانوية ترعة ثقيف	١٤٠٧هـ
الخلص الابتدائية	١٤٠٩هـ

ويقوم بالتدريس في هذه المدارس مدرسات وطنيات مؤهلات خاصة في المرحلة الابتدائية حيث كان للمعهد الذي افتتح في عام ١٤٠٣هـ أكبر الأثر في تحقيق الاكتفاء المحلي لمدرسات المرحلة الابتدائية. أما في المرحلتين المتوسطة والثانوية فيقوم بالعمل فيهما مدرسات متعاقدات من الدول العربية الشقيقة.

ومدارس البنات في معظمها في مبانٍ مستأجرة ما عدا مدارس : ترعة الابتدائية والمتوسطة والثانوية حيث أنشأت الرئاسة العامة لتعليم البنات مبنًا حديثًا مشتملاً على كل المـرافق التعليمية الـلازمـة، ويجري الآن إنشاء مجمع عام بقرية قها لاستيعاب مدارس القرية للطالبات. والرئاسة العامة ممثلة في إدارة تعليم البنات بالطائف تعمل جاهدة لاستكمال تأسيس المباني الحكومية الحديثة وفق خطة الدولة العامة للتنمية(*).

الشعـــر:

والشعر كعنصر من عناصر الثقافة له أهمية عظيمة في بلاد ثقيف لاسيما وأنه كان ولا يزال يمثل مظهرًا جيدًا من مظاهر الأدب في المنطقة. والشعراء بما أبدعته ألسنتهم من حسن الصنعة ودقة المعاني والبعد عن التكلف، حققوا لأنفسهم منزلة اجتماعية كبيرة. يقول خير الدين الزركلي عن شعراء الحجاز ـ وشعراء ثقيف بالطبع منهم ـ: يقف الشاعر فيُسامر الآثار ويصف السّحاب وينعت الجبال، أو يحنُّ إلى حبيب، أو يبكي لفراق، أو يرثي كريمًا، أو يمدح عظيمًا، فترى فيه روح ذلك الشاعر الذي يقصد عكاظًا قبل أربعة وعشرين قرنًا، حاملاً في صدره ما قال من وصف أو حنين أو رثاء أو مديح(١).

وحفلت المنطقة بطائفة من الشعراء الذين أبدعوا في مختلف أغراض الشعر، وكان لهم نظم شعري ممتاز وسمعة طيبة بين الناس، وكان لكل قبيلة شاعرها الخاص الذي يشيد بمفاخرها ويدافع عنها ويهاجم ويهجو من يحاول الانتقاص من قيمتها، وكان الشاعر بمثابة الوسيلة الإعلامية للقبيلة.

وقـديمًا اعتقـد النـاس بأن لكل شاعر شيطانًا يُلهمه الشعر، حتى أن بعض الشعـراء يقولون بعض الأشعار وينسبونها إلى شياطينهم خاصة وأنهم يدركون مدى

(*) هذه المعلومات مصدرها إدارات مدارس البنات بالمنطقة.

(١) خير الدين الزركلي، ما رأيت وسمعت، ص ٢٢١.

تصـديق النـاس لهذا المفهوم، وهذه الظاهرة كانت موجودة بصفة عامة عند العرب الأوائل، فالشاعر الأعشى كان شيطانه يُسمى بـ «مسحل»، وشيطان الفرزدق يدعى بـ «أبي لبنى» وشيطان بشار بن برد اسمه «شنفناق»، وكانت مصدر فخر واعتزاز عند بعضهم، وحقيقـة الأمر أن الشعر ما هو إلا موهبة وذكاء من الله تعالى، وقدرة على الإبداع وتعود عليه، حيث إن الشاعر إذا ما قال الشعر مرارًا يصبح على مر الزمن خبيراً بهذه المهنة حافظًا لألفاظ الشعر متمكنًا من صياغته على النحو الذي يريده ومن ثم يُصبح في نظر الناس من الشعراء المتميزين.

وعـلى الـرغم من انتهـاج بعض شعـراء المنـطقـة منـاهـج جديدة في المعـاني والمـوضـوعـات والأسـاليب في شعرهم تأثرًا باختلاف صور الحياة وقيمها والتأثيرات الخارجية عليهم، إلا أن كثيراً منهم حافظ على أصول الشعر العربي من قوافٍ وأوزانٍ، وزادوا على ذلك بإمداده بكثير من ألوان الخيال الخصيب والتعبير الدقيق والإحساس الواضح مما جعل شعرهم يتميز بالرقة والعمق والتفنن في المعاني.

ويغلب على شعراء ثقيف شيوع العامية في شعرهم وهذا بالطبع لا يعيبهم أو ينقص من أدبهم، فلغة الشاعر لغة أسرته وقبيلته، ومع هذا فإن شعره يتميز بالإفصاح والإبانة وعدم التكلف والتصنع، وحسبي ما ذكره الأستاذ محمد عمر رفيع عندما قال: «إنني أرى أن اللهجـة المكية أقـرب إلى الفصحى من لهجات أمثالهم من الشعوب العربية الأخرى، اللهم إلا لهجات سكان «جبال الحجاز» فإنهم أعذب لفظًا وأصح نطقًا وإن كانوا لا يعرفون الإعراب وأحكام أواخر الكلم»[1].

والذي يؤسف له هو عدم وجود مؤلفات قديمة أو حديثة تحفظ لنا أشعار الأوائل والمحدثين، ولولا تعوّد الناس على حفظ الشعر وترديده في مجالسهم لما وصل إلينا منه شيء، فهو موضوع سمرهم في كثير من مجالسهم وأوقات فراغهم، وهو غناؤهم الذي

---

(١) محمد عمر رفيع، تاريخ مكة في القرن الرابع عشر، ص ٢٠٩.

يترنمون به خلال المناسبات التي تجمع أفراد القرية الواحدة، فتجد الراوي ينشد ما قاله الشاعر فلان من الناس في مناسبة ما ومكان ما، وغالبًا ما يكون الشعر المروي يتضمن في معانيه نصائح وحُكمًا ووصايا مفيدة، وأحيانًا يعبر عن موقعة حدثت بين قبيلتين في زمن ما. ومن المشهورين اليوم بهذه الصفة الإخبارية أو الروائية، سعد بن محمد بن حسان الثقفي البالغ من العمر حوالي المائة عام تقريبًا من سكان قرية قها، فقد تحدثت معه كثيراً ووجدته حافظًا لمئات من الأبيات الشعرية والقصص والنوادر، وبحق فهو موسوعة في هذا المجال، يقول العشرات من الأبيات ولا يتلكأ أو يتلعثم وكأنها مكتوبة أمامه.

ومن أشهر القصائد التي يحفظها عن ظهر قلب قصيدة للشاعر علي بن رابع الثقفي ـ رحمه الله ـ تسمى «بقاف الصحابة» والتي تتكون من سبعة وأربعين مقطعًا شعريًا، كل مقطع منها بخمسة أبيات. وتحتوي هذه القصيدة على وصف مبسط لحياة الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وما حدث لهم مع أقوامهم وبالأخص قصة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام مع الفرعون وزوجته واخوته.

وتتميز هذه القصيدة بقافيتها الموحدة واتزان أبياتها على الرغم من استخدام الألفاظ العامية فيها، وهي لا تخرج في معانيها ومقصدها على ما ورد في الكتاب والسنة فيما يتعلق بقصص الأنبياء، ولكثرة أبياتها فسنورد بعضًا منها لاسيما تلك التي تصف بعض الأحداث في قصة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام والتي تبلغ أبياتها نصف هذه القصيدة.

وبعد أن استعرض الشاعر المراحل الأولى لنشأة النبي يوسف عليه السلام مع أسرته وصف خيانة إخوانه له بقوله:

راحوا بخُوهم يم ذيك الرعية تفطنوا ياهل القلوب الوعية
وقال واحد ما عليه الدعية تجابروا قالوا في البير نرميه
رموا به وله في البير متلقّفينا

عنـد العشـا في بيت أبـوهم يبكـون   امسـوا طِوال الـليل في البـيت يشكـون
وكـلٍّ واحـد قال في جُشـتي كون   الـذيب أكـل يوسـف وحـنّـا حواليه
سرى به وحـنّـا في الـرعـي غافـلينـا
وقـال أبـوهـم علمـكم كذب يا أولاد   يا خاينـين الـعـهـد ذا العلم لاعـاد
بيني وبـين الـرب إذا أراد ميعـاد   وان كان أراد الله فلابـد أواتـيه
ولـكـن لِحُكـم الله من الـصـابـرينا

وعند وصف شهادة الطفل في المهد ببراءة يوسف عندما اتهمته زوجة فرعون قال الشاعر:
ان كان من دُبـره قمـيصـه مشـقّـق   فالـرجـل يا بويه تراه المُـصـدّق
وان كان من قبـله قمـيصـه تحقّـق   يوسـف ترى ذا الـعـلم ما له نظر فيه
ومِعـرض وهـو رجـلاً من الصـالحينا

وفي معـرض ذكـره لعودة اخوان يوسف من مصر بعدما أرسل معهم قميصه ليضعوه على وجه أبيهم قال الشاعر:
قال اذهـبـوا هذا قمـيصي معـاكـم   روحـوا وحـطّوه على وجـه أبـاكـم
وإن كان جاكـم عفـو مني لجاكـمْ   يا من يودي علمـي آبي يوديه
وراحـوا لبـوهـم توّهـم فارحـينا
راحـوا لبـوهـم فارحـين الـرجـال   يعـقـوب قال اروحـت ريحـة عيالي
اروحـت ريحـة يوسـف ابـني بدا لي   يا أهـل العقـل وأهـل الفكـر فندوا فيه
ولا غلـق الهـرجـة وهـم حاضرينـا[1]

(١) «أروحت» أي شمّمت، «فندوا» فيه فكروا فيه، «الهرجة» يعني الكلام.

وفي نهاية القصيدة اختتم الشاعر ملحمته بهذه الأبيات :

قال ابـن رابـع قلت قولي ومـكـتـوب   يالـلي بعـد طمعـان في هجـرتـك توب
ربّي جمع ما بين يوسـف ويعـقـوب   والـلي مكـذب عنـدي أيمان توفـيه
ويتـسـاءل القُـراى والـكـاتـبينـا(*)

ثم الـصـلاة على الـنـبي الحبيبي   يا الله أنـا طالـبـك ثبـت نصـيبي
أزور سيدي قبـل راسي يشـيبـي   يوم الـقـيامـة والى الأمـر والـيه
وصـلوا على المـخـتـار يا حاضرينـا

والشعـر عند الثقفيين على نوعين : القصيد والنشيد ، فالقصيد غالبًا ما يكون مساجلة بين شاعرين، ويتخلل هذه المساجلة أحيانًا الهجاء والألغاز بقصد إعجاز الشاعر الآخر والمدح وغير ذلك من أغراض الشعر، والنشيد غالبًا ما يكون من طرف واحد، إما من الشاعر أو الراوي ، وإذا ما انتهى الراوي للنشيد فغالبًا ما يكون الرد من المستمعين بقولهم : صحّ لسانك، ويطلبون المزيد.

وأجاد الشعراء الثقفيون في أغراضهم الشعرية أيما إجادة ففي الهجاء استخدم الشاعـر أسلوب التورية والذي لا يستطيع معرفة ما يقصده الشاعر سوى الأذكياء والعقلاء من أبناء المجتمع لاسيما وأن التصريح بالهجاء يُعدّ من معايب الشعر، ووصف الزركلي هذه الطريقة بقوله : وعنى بُداة الحجاز في معانيهم ، فجنحوا إلى الإكثار من الكنايات وعابوا الشاعر منهم إذا هجا فصرح حتى أن أحدهم إذا أراد التشوق إلى نشوب الحرب ربما قال :
متى تنزل يا مطر؟ وفي الكناية بالمعاني والتورية بالألفاظ دقة تدل على صفاء المفهوم ونقاوة الأذهان(1) .

(*) «يتساءل» يسأل، «القُرّاي والكاتبينا» يقصد من يعرف القراءة والكتابة.

(1) الزركلي، ص ٢٤٣ .

وإذا هجا الشاعر غيره فهو لا يتخذ طابع النقد اللاذع أو السخرية التي تؤدي إلى العداوة والبغضاء، وإنما يهجو بأسلوب مرح يغلب عليه المزح والدعابة، ومثل ذلك قول الشاعر علي بن رابع الثقفي في مساجلة شعرية مع الشاعر طوير المالكي من تهامة:

بنيت قصرًا خانه الباني طول الدهر ملّا نداري به

والشاعر لا يقصد القصر الحقيقي بل يقصد القدر الفخاري المصنوع من الطين الأحمر وهو ما اشتهر بصناعته سكان تهامة وإذا لم يحفظ ويعتني به في حالة نقله من مكان لآخر فقد يتعرض للكسر لأنه مصنوع من الرمل.

وبرع الشعراء في طرح الألغاز بأسلوب الشعر بهدف إعجاز الشاعر المنافس، ومثل ذلك قول الشاعر علي بن رابع الثقفي في أحد المناسبات بقرية الفرعين:

أسا لكم يا لفة الشعار
عن واديًا مثمر وله زهور
منوعة من كل عينه
ولا خلق مثله في الديار
ما ساقه الزراع بالماطور
ونفعته عظمى وهينه

وهو يقصد بذلك السماء وفيه النجوم، ورمز للسماء بالوادي وللنجوم بالزهور، وقد أجاب عليه الشاعر سعد الجهلاني ولكني لا أذكر من أبياته سوى:

هذا السما فيه الفلك يدور نجومه العُظمى مبينة

وأحيانًا يكون هناك مساجلات شعرية بين اثنين يُستخدم فيها الشعر لقضاء حاجة ما. ومثل ذلك ما ذكره الشيخ موسى بن معيض بن كعمور أنه ذات مرة أتى لزيارة أخيه (عقاب) ـ رحمه الله ـ اثنان من قرية قها وهما زاهر بن سالم الثقفي وآخر معه، وبعد جلوسهما أنشد زاهر بن سالم باللغة العامية قوله:

جيت ناصي بيتكم يا عقاب
ما نصيتك غير طلّاب عازه
حاجتي فنجان بن والبقا(*)

وعلى الفور أدرك الشاعر عقاب تلك الحاجة المطلوبة وقال:

مرحبًا بك عد وبل السحاب
نمنغير صينها بالقزازة
والجمايل فوق حرف النقا(**)

والأبيات الأولى لم تشر صراحة إلى الشاعر ولكن الشاعر «عقاب» أدرك ذلك وكانت أبياته ملبية لطلبهم الفعلي لاسيما وأن الشاي في أوائل القرن الرابع عشر الهجري لم يكن متوافرًا في مناطق الحجاز سوى عند فئة قليلة.

واستُخدِم الشعر أيضًا في الترويح عن النفس والمزح، ومما يُروى في ذلك أن الشيخ عابد بن سلطان طلب ذات مرة من الشاعر أحمد بن مهدي الملقب بـ «المجنون» أن يعطيه من الشعر ما طَرُفَ وما نَدرْ فأجابه على الفور بحكايته عن السِّباع ومحاولة كل منها جمع ما استطاع حسب هوايته وقال:

يا سباع الخلا يا طاويه كلًّا يُولِّم عشاه
النمر نمر يوم الله قسم له رِزق جرّ القعود
والأسد قال أسُدّك يوم أراد الله وجاني بثور
وغدا الذيب توّه للرعية ثم جرّ الخروف

(*) «جيت ناصي» يعني أتيت إليك، «ما نصيتك» أي قصدتك، «طلاب» بمعنى قاصد، و«البقا» بمعنى الشكر إذا لبيت طلبي هذا.

(**) «وبل السحاب» هو المطر، «نمنغير» أي سنبدّل، «صينها» يعني فنجان البن، «بالقزازة» يعني فنجان الشاي.

والجعير الهلامه بيّت الحله وجا بالحماره
والحصيني انقطف يسعى وجا باصم على راس ديك(*)

وفي الفخر والحماسة ومدح القبيلة أجاد شعراء المنطقة كثيرًا ومن ذلك قول الشاعر خليفة أبو مدين باللغة العامية:

الوله بالله طلبتك يا غفور يا للي رفع عرشه بلا عمداني
ثبّت لساني ليل نمسي في القبور ما عندي إلا الطين واللُّحداني
الجاهلي فاهو كما حثلوم صيف رزّت نشاياها على الشفياني(**)
واليوسفي فاهو كما بحر مطيف غرق بلاد الهند وأهل الشامي
والنّدبه فاهم كما دولة شريف مثل القبس في الخشب المُدّاني

وفي الحكم والحث على الفضائل قال الشاعر عقاب بن معيض الثقفي:

قال ابن كعمور ما مثل الصُّبر والصبر عانت مطاليق الرجال
من قلّ شيّه ومن يبني قصر لابد خدّه يواسي بالهيال(***)

واستُخدم الشعر في الدعوة إلى احترام الأعراف القبلية والعادات والتقاليد ونبذ السلوك السيء ونقد بعض تصرفات الشباب التي تعتبر في نظر الأوائل لا تمت إلى المروءة والشهامة بصلة، وفي مثل ذلك قال الشاعر: ضُميان بن ردّة الثقفي - رحمه الله - باللغة العامية:

أنا يوم افتكر في صُفة الباصرة وأبو جبل
الورق يلعبونه في يديهم وأبو عروة مثبى

(*) «سباع الخلا» وحوش البرية، «يا طاوية» جيعانه، «يُولّم» يجهز، «جرّ» سحب، «توه» الآن، «للرعية» للماشية التي ترعى، «الهلامه» الضعيف، «بيّت» تسلل ليلا، «انقطف» ذهب سريعًا «باصم» قابض بفمه.

(**)«حثلوم صيف» السحب المليئة بالماء والتي تبدو على شكل مزون.

(***) «قلّ شيّه» يرمز إلى الفقير، «ومن يبني قصر» يرمز إلى الغني، «يواسي بالهيال» يقصد أنه لابد سائر إلى القبر مثله مثل غيره.

والحـلق في يسـار الـرجـل والـبـدلـة زرقـا حانـيه
والسراويل فوق الـكـعـب والـثـوب الأزرق زاد قفـله
وان لقـي له بهيمـة جاك يسـحـب بها في معـصـبـه
يا الله نعـنـاك لا سكـين فيده ولا شي مقـلمـيـه
ما معـه غير من ذيك المـكـاين يبـي يحلق بها(*)

وكان للشعر تأثيره القوي حتى في فض المنازعات بين القبائل، ومما يُروى في هذا المجال أنه عندما قُتِلَ شخص من قبيلة بني الحارث بطريق الخطأ ووصل ذووه إلى قرية المجاردة من ثقيف قام الشاعر محمد بن شعيب بإلقاء قصيدة أوضح فيها أن الحادث كان بطريق الخطأ وأن قبيلته على أتم الاستعداد بتحمل المسؤولية، فما كان من أصحاب المقتول إلا أن عفوا وأخذوا حكم الله في ذلك وتم الصلح بين الطرفين، والأبيات التي قالها الشاعر كثيرة ولم أعرف عنها سوى هذين البيتين:

والله أيمان لبـلحـارث ولـلي يقـبـل المـعـذار
إنها بلوى بلانـا الله بها ونـحـن على تدبـيـره

وأجاد الثقفيون في شعر الغزل باللحن المتعارف عليه بـ «طرق الجبل» وتسميته بهذا الاسم ناتج عن ممارسة هذا اللون من الشعر أثناء تواجد القائلِ في الجبل، وأغلب موضوعات هذا اللون الشعري تدور حول الوصف والذكريات، ومن أمثال هذا اللون من الشعر قول الشاعر باللهجة العامية:

مشـيت عصر الأحـد عزّاب وأبـغـي عرض الأسـدار
في الـديرة الـلي سقـاهـا الله بهمّالاً ونـاوى

(*) «الباصرة» يقصد لعبة الورق أو البلوت، «أبو جبل» الشاي، «أبو عروة» يقصد ابريق الشاي، و «الحلق» يعني الخاتم، «زرقا حانيه» كثيرة النِّيلة، «زاد قفلة» يعني طويل جدًّا، «بهيمه» خروف أو عنز، «يسحب بها في معصبه» يجرها بعد أن يربطها بغترته لأنه كسول جدًّا أن يأتي بحبل ويربطها به، «يا الله نعناك» استغاثة بالله من هذا الأمر، «فيده» في يده، «المكاين» مكينة الحلاقة ويقصد بذلك أن شباب اليوم لا يحملون السلاح معهم وإنما يحملون مكائن لحلاقة اللحى فقط وهذا تعبير عن استياء الشاعر من بعض تصرفات جيل اليوم مقارنة بجيله.

واتـيت حوّ الـضِّـبـا ويل ان في قلبـي كما الـنـار
وقـال حو الـضِّـبـا علِّم لنـا وين انـت ناوي
وقُـلت ما بقـطع المـذهـب عن المـصـاحـب ولا الجـار
أذِلّ تحـداني الـدنـيا لهم مانـا غنـاوى
وقـال حوّ الـضِّـبـا ودّك تغـرز غرزة الـشَّـار
أبـرك لك الـشّـار ولا في الـشـفـا ريحـان راوي
وقـلت والله ما ودِّي انـتـقـل وأخـرج من الـدار
ولا أحـن الـنـاس لو كان أصـبـحـت وامسـيت طاوي
اعـمـوني الـصُّـفـة الـلّي يخلطون المُـهـل بالـقـار
والـقـهـوة الـصـافـية زادوا عليهـا بالـثّـنـاوى
وقـال حوّ الـضِّـبـا لو غِبـتَ عنيٍّ حدّ الأعـمار
تراك من دونِ خلق الله عنـدي في ملاوى(*)

ونموذج آخر لطرق الجبل يقول فيه صاحبه:

قُدّام يا سيّدي ما تفـرح الا يوم أواتـيك
والـيوم أشـوفـك مجنِّـب لا سلام ولا تحية
مدري تبـيهـا عُذر ولّا يكـون الخـوف حاديك
ولّا سمـعـت الـعـرب ولّا بدا لك وجـهـنـيّه
والله مَحِسـبـكْ تِرخـصـني وانـا قُدّام مِغـليك
واسـمـع هُروج الـعـرب واقـول ما منهـا رزيّة

(*) «عرض الأسدار» منطقة تقع غرب ثقيف جهة تهامة، «واتيت» يعني واجهت، «غناوى» يقصد انه ليس غنيا، «ودك تغرز» يعني تأخذ جزء من شجرة الشار المعروفة في تهامة وهو لا يقصد الغرزة بذاتها ولكنه استخدمها ككناية عن المطلوب، وأعطاه حق الاختيار بين الشار وهو من البيئة غير الحجازية أو الريحان وهو ما تشتهر به منطقة الحجاز، فكان جوابه أنه لا يرغب النزوح عن ذلك المكان كناية عن محبته ولكن الظروف لا تساعده.

واليوم أشوف الجفا بادي على وجهك وغاشيك
وتصدّ عني كما لو كان فيدي سُمّ حيّة(*)

وهناك لون آخر من شعر الغزل غير طرق الجبل، ومثل ذلك قول الشاعر:

يا عزيزي لقيت الصيد في جال وادي .... والتفت له فؤادي
ان رميته رماني وان حميته حماني
صيد يرعى حمانا طول هذا الزمانا
راعي القنص ظني يا فتى ما يجي به .... وان رما ما يصيبه
الله يسقي بلادك يالغزال المربى .... شب في القلب شبا
رد قلبي عليه قبل تزعل عليه
والعرب لا تشوفك وانت كامل وصوفك
يحسدونا عليك الناس يا نور عيني .... وانت كامل وزيني

وحتى الشعر النبطي أخذ مكانه بين أنواع الشعر في المنطقة، فتغنى البعض من أبناء المنطقة بجمال الطبيعة في ثقيف وتغنى البعض الآخر بأمجاد أسلافهم فيها ومدى حبهم العميق لها، ومثال لذلك نورد قصيدة للأستاذ زيد بن زايد الثقفي يقول فيها:

عُذرًا إليكم سادتي آبائي عذرًا فلست بشاعرِ الأهواءِ
وتحية من أرضنا ولأرضنا فلكم ضيوف ثقيفنا السّمراء
أهلًا سحاباً مودقاً وبشاشةً عبقًا يفوحُ بنسمةِ الكُرماء
عُذرًا فما شِعري لذاتِ لواحظٍ أمسيتُ منها فاقدًا لهنائي
إيهٍ وما استرق البكاءُ مدامعي خوفَ الفراقِ ولا انتشى للقاء
كم كنت في شعري أتيهُ بحبُها كم في هواها عارضوا رُفقائي
كم أن طوتني غُربتي أرنو لها إن ضاع صوتي في لُظى الصحراء

(*) «أواتيك»: أقابلك، «مجنب»: مُبتعد، «وجهنيّه»: وجهة نظر جديدة، «محِسبكْ»: ما أظن أنك، «مغليك»: غالي وقيمتك عندي غالية، «هُروج»: كلام، «رزيّة»: تأثير، «غاشيك»: شامل لجميع جسدك، «فيدي»: في يده.

إني أحُــبُّ ومــا الهــوى في مثــلهــا — جرمٌ فليت تزيد في إغــرائــي
عشــقٌ وعــشــق يا ثقــيف تبرجي — وارمـي الـنقــابَ ومعــظم الأشـياءِ
وتــلفــعــي بخــضــار لوزكِ بردةً — وتــنــطّقــي عنــبًــا بدونَ حيَاء
أبــدي المــفــاتن للحبيب تدلُّــلاً — إني خطبــتُــكِ فالــنّــوالُ رجــائــي
ما عانــقــتــك سحــابــةٌ إلاّ لها — بين الــسّحــابِ مكــانــة الأمــراء
فتربّــعــي فوق الــسحــاب تدلــلاً — كي ما ترين شبيهــةَ الجــوزاء
يا درّة السّروات يا حُلم الــصِّــبــا — يا سيرة الـعـشـق الـقـديم الـنّــائي
يا مهــد آبــائــي الــذين أُحــبهــم — يا موطـن الـعُـظمـاء والــنـبـلاء
ليس الــثــرى إن لامســتــه خُدودنــا — إلاّ ثريًّا في عنــانِ سمــاء
ليس الــســحــاب إذا أطــاح بمائــه — فوق الجــبــال سوى احــتراق المــاء
الحــبُّ يبقـى في ثقيف شجــاعــة — والمــيتُ دون ثقــيف في الــشُّــهــداءِ

هذا ما كان من أهمية الشعر في المنطقة وأغراضه، أما كيفية اللعب على الشعر حسب العادات والتقاليد السائدة فهو على نوعين: ردح ويماني، والردّح هو أن يصطف اللاعبون جنبًا إلى جنب في صفين متقابلين على شكل نصف دائرة لكل صف، ثم يتقدم الشاعر فيُعطي الشطر الأول من البيت لأحد الصفين والشطر الثاني للصف الآخر، وبعد أن تبدأ المجموعتان في ترديد البيتين الآخرين، يُدقّ الزير(*) ويبدأ اللاعبون يتراقصون على أنغامها وهم ثابتون في أماكنهم، مع رفع أسلحتهم إلى أعلى، ويتقدم إلى أمام كل صف رجلٌ يتراقص بشكل بديع وفقًا لإيقاع الزير والمزمار وأصوات الرجال وحركاتهم، واللاعبون يتابعون حركاته ويُقلدونه تمامًا حتى يبدو المنظر عجيب جدًّا.

واليماني أو ما يسمى في عرفهم بـ «الطرق اليماني» هو ذلك اللحن الذي لألأته على نحو:

(*) الزير: هو عبارة عن برميل مفتوح من جهة ومُغطى من جهة أخرى بقطعة جلد تنزل إلى منتصفه وتُشدُّ بأربطة جلدية أو غيرها لتثبيت الجلد، فيُصبح كالطبلة، وعرفه ابن منظور في لسان العرب فإنه ما أُستُحكِمَ فتله من الأوتار وهو الدّن وجمعه أزيار (لسان العرب، ابن منظور، جـ ٤، ص ٣٣٩).

يلا للا لا له للا له للا لا ل
يا لا للا لا له يا لا للي لا له

والذي يقابله في الكلمات مثل قول الشاعر عواض أبو قبس:

سلام يا زيرًا ولي عنه طيله	أيام ما تُحصى وايام نحصيها
والثانية ودِّي بجبر القبيله	نبني لنا منصى حصون نرميها

وسُمِّي باليماني نسبة إلى الجهة الأصلية التي اقتُبس منها وهي بلاد اليمن، وفيه يتراقص اثنان أمام اللاعبين بشكل يتفق مع إيقاع ضربات الزير وأصوات الرجال وهم يرددون الأبيات على النحو السابق ذكره.

وفي كلا النوعين «الردّح واليماني» ينزل إلى حلبة الملعبة أكثر من شاعر، وما على الشاعر في هذه الحالة إلّا الإشارة إلى قارع الزير بالتوقف ليقول قصيدته، وأحيانًا يكون هناك مباراة بين عدد من الشعراء يتبادلون فيها المدح والهجاء والفخر والحماسة.

وكانت العادة أن الشاعر أو الشعراء لا يصلون إلى حلبة اللعب إلا متأخرين بعض الوقت، فإذا ما وصلوا إلى مقر اللعب، رفع اللاعبون أصواتهم عاليًا وهو ما أسموه بـ «البيشان»(*) وذلك تعبيراً عن فرحتهم بوصول الشاعر وابتداء اللعب، فيبدأ مباشرة قرع الزير بعصاتين صغيرتين ملساء وهي ما تسمى بـ «المناقير»، وينطلق صوت المزمار بنغمات تتفق مع إيقاع الزير وحركة أرجل اللاعبين إيذانًا ببديء اللعب.

وغالبًا ما يكون زي اللاعبين موحدًا حيث يلعبون بثياب خاصة لهذه المناسبة تسمى بـ «المقاطيع» مفردها «مقطوعة»(**) وهي بيضاء مطرزة بالحرير ولها أهداب طويلة، وكل لاعب لابد أن يكون حاملاً خنجره وبندقيته.

وجرت العادة أن يشترك في اللعب أكثر من قبيلة واحدة، حيث بمجرد أن يعرف الآخرون بأن هناك مناسبة فإنهم يتهافتون للمشاركة أو المشاهدة والاستمتاع بسماع

(*) لم أجد لهذه الكلمة تعريف في قواميس اللغة وأعتقد أنها لفظة من أصل تركي.
(**) بعضهم يسميها مِحْرَد.

أقوال الشعراء، وغالبًا يجتمع الوافدون من كل قبيلة ويدخلون إلى مكان الحفل تباعًا وهم ينشـدون بعض القصيد رافعـين أسلحتهم إلى السماء ثم ينضمون إلى صفوف اللعب، وإذا ما كان الوافدون كثيرين فإن أصحاب المحفل نفسه ينسحبون من الملعبة مهيئين بذلك الفرصة للقادمين من القبائل الأخرى إكرامًا لهم، وهذا مما يشجع على التآلف والمحبة والنظرة الاجتماعية على أساس أنهم أسرة واحدة، وما زالت هذه العادة متبعة حتى يومنا هذا.

وهذه العرضات الشعبية غالبًا ما تكون في أيام الزواجات والختان والأعياد أو المناسبات الخاصة بكل قبيلة في ثقيف، ومع مرور الزمن أخذت في التغيير في بعض مظاهرها. فبينما كان الشاعر في الماضي يخصص له كسوة وهي عبارة عن غترة شرقية أو «مصنف»(*)، فقد أصبح اليوم يُعطى مبالغ مالية تصل إلى الآلاف وأحيانًا تكون سيارة جديدة، مما أثر على ذوي الدخل المحدود وزاد أيضًا في رواج هذه المهنة، حتى أن الشاعر المعروف قد يحجزُ عند ذووا المناسبات قبل مواعيدهم بشهر على الأقل، وبينما كان شاعر أو شاعران يكفيان لإحياء الحفل أصبح تعدّد الشعراء من المظاهر الاجتماعية التي يتفاخر بها ذووا المناسبات بقصد الدعاية والإعلان بأن مناسبة فلان كانت مناسبة كبيرة أحياها عددٌ من الشعراء مثل فلان وفلان وهكذا.

القصة والغوص:

والقصة كمظهر ثقافي لم يكن لها في بلاد ثقيف وجود بالمعنى المعروف أدبيًا ولكنها وجدت بأسلوب آخر معروف عند السكان باسم الحكاية التي قد تكون صحيحة أو تكون أسطورة من نسج الخيال ولكنها في حقيقة الأمر هادفة ويُستنتج منها بعض الأمور التي تتعلق بطبيعة الحياة عند الناس. والقاصُّ للحكاية غالبًا ما تكون الجدة أو الأم والمستمعون لها هم الأولاد والبنات الصغار حيث يتجمعون حولها أثناء الليل فيستمعون لأحداث الحكاية من أولها حتى آخرها وغالبًا ما ينام البعض قبل أن تنتهي الحكاية ولعل

(*) المصنف: هو قطعة من القماش الجيد الملون والمطرز لا يقل طوله عن مترين ونصف.



ثوب «المِحرّد» الذي كان يُمثل الزّي الشعبي للرجال والصبيان أثناء المناسبات.



الشجاعة والكرم وارتداء الأزياء الشعبية من الأمور التي يحرص الثقفيون على تأصيلها عند أبنائهم منذ الصغر.

هذا هو السر في وجود مثل هذه الطريقة لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار انعدام وسائل التسلية قديمًا فلم يكن لدى الأوائل من وسائل يُشغلون بها الأولاد حتى يناموا سوى الحكـاية. ومع الأسف أن بعض الحكايات تخلق في نفوس الأطفال الخوف والرعب خاصة إذا كانت الحكاية تدور حول أساطير الحيوانات المفترسة والمنازل المسكونة بالجن والمخلوقات التي تأكل البشر مثل «السلالعة» مفردها «سلعلعي»، و «الغيلان» مفردها «غول».

وغالبًا ما تبدأ القاصة بقولها: كان يا ما كان في قديم الزمان ثم تتحدث عن القصة فإذا ما وصلت إلى النهاية اختتمتها بقولها: وعاشوا في الثبات والنبات حتى ماتوا ومات. وكان الكبار يجدون في الحكايا أيضًا مُتعتهم ويجدون فيها مجالاً واسعًا لتصوير أحلامهم وهدفًا واضحًا لملء فراغهم وعلاجًا لحل مشكلاتهم.

والغوص كمظهر من مظاهر الثقافة أخذ مكانه عند الثقفيين، وهو كما عرفه ابن منظور: هو النزول في الماء، وغاص على الأمر أي علمه[1]، والمتعارف عليه في ثقيف أن الغوص هو: نوع من النكت والفكاهة، وهو ما يتحدث به المرء أمام مجموعة من النـاس بقصد إظهار مثالب الشخص أو فئة من الناس باستخدام الكناية في المعنى والتورية في الألفاظ.

وفي الماضي كان الغوص من الأمور التي قد تُسبب الفتنة والعداوة بين الأطراف المتحدثة به لما فيها من التجريح والتقريح، إلا أنه مع مرور الزمن تغيرت مفاهيم الناس فأصبح الغوص مطلوب في المناسبات والاجتماعات لما فيه من ترويح للنفس، حيث تعود الناس أن يضعوا الرسميات فيما بينهم جانبًا ويُروحون عن أنفسهم فيتحدثون كما يشاؤون دون خجل خاصة إذا كان الهدف من الغوص التسلية والتفكه البريء الذي لا يؤثر على إنسان بعينه أو يسبب فرقة اجتماعية بين فئتين، أما إذا كان الهدف غير ذلك فالغوص في هذه الحالة غير مرضي عنه.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٧، ص ٦٢.

وللغوص رجاله الذين يستطيعون التحدث به، وهؤلاء يتميزون بالذكاء وسرعة البديهة وصفاء الذهن ولهم أسلوب بلاغي قوي ودقة متناهية في اختيار المعاني المقصودة والألفاظ. وإذا ما صدر الغوص من غير هؤلاء فإنه يفقد أهميته وإثارته. ومن أشهر أولئك الذين تميزوا بهذه الظاهرة: موسى بن معيض بن كعمور، وأحمد الفراوي، وسعد بن عبدالله وشديد بن فرج، وسعد بن سلطان الشريف، وفالح بن راجح، وسعد بن حسان، وغيرهم ممن لم أتعرف عليهم.

الطب:

والثقفيون كغيرهم من المجتمعات كان لهم ثقافتهم الطبية ومعرفتهم بعدد من الأمراض وكيفية علاجها. والطب بالمعنى الحديث لم يصل إلى المنطقة إطلاقًا إلا في العهد السعودي الزاهر، ولهذا اعتمد الناس قديمًا على ثقافتهم المحلية ومارسوا وسائل الطب الشعبية في معالجة الأمراض.

ومن الأمراض التي توصل الطب الشعبي فيها إلى نتائج إيجابية مرض «داء الجنب» وهو ما يسمى في الطب الحديث بـ «الالتهاب الرئوي». وكان علاجهم لهذا المرض هو الكي، حيث يتم تحديد مكان الألم بواسطة خبير مجرب، فيكوي من واحدة إلى سبع كيات أحيانًا، ثم يحمي المريض عن بعض المأكولات لمدة من الزمن بعدها يتماثل بأمر الله للشفاء، والسلبية في علاج الكي إذا قام به من ليس له تجربة جيدة مما يؤدي إلى الأضرار بحياة كثير من الناس.

ونجح الثقفيون في معالجة الكسور حيث اشتهر في القبيلة عدد ممن يمارسون هذه المهنة ولديهم خبرة جيدة تفوق في كثير من الأحيان ما يقوم به المتخصصون في وقتنا الحاضر. والطبيب الشعبي المختص بالتجبير يسمى بالمجبر، وغالبًا ما يحتفظ ببعض الإسعافات الأولية كالقطع الخشبية وأوصال القماش وبعض الدهانات الخاصة مثل زيت النارجيل والأربطة حتى إذا ما دعت الحاجة إليه وجد مستعدًا لعمله. وإذا ما قام

بالتجبير فهو لا يشترط على المصاب تقديم شيء معين، حتى إنه في كثير من الحالات لا يأخذ شيئًا على الاطلاق لاسيما إذا كانت أسرة المصاب من الأسر الفقيرة.

والمُجبِّر غالبًا ما يطلب من المصاب الحمية عن بعض المأكولات لمدة معينة ويسمح له بالحركة بعد زمن معين، ويقوم بزيارته في بيته بين فترة وأخرى للملاحظة على وضعه ومعرفة مدى تحسن حالته، والحقيقة التي لا مُراء فيها أن هذا النوع من الطب الشعبي أثبت نجاحه وفاق في كثير من الحالات ما يقوم به أطباء العصر الحديث في هذا المجال.

ومن أولئك الذين زاولوا هذه المهنة واشتهروا بها: زيد المخواني ـ رحمه الله ـ وحسين العرابي، ودخيل الله العقربي، وحسين بن فطيس المعروف بـ «بشران»، ودخيل الله بن عمر.

ونجح الثقفيون في معالجة مرض عرق النساء، حيث كان الخبير بهذا المرض يضع المريض تحت ضوء الشمس صباحًا ويقص على العروق المؤلمة، ويخزق بعض الأماكن بالإبرة لإظهار بعض الماء الذي يعتقد أنه سبب الألم في الرِّجل وقد نجح هذا النوع من العلاج وهو يُشبه إلى حد ما الإبر الصينية.

ومن الأمراض التي كانت شائعة ومعروف علاجها مرض «الخاطر»، وهو أن يشعر المريض بارتجاف وإرهاق وأحيانًا إسهال، وعلاج هذا النوع من المرض الكي في باطن القدم، وقد جرّبت بنفسي هذه الطريقة العلاجية وشعرت بفائدة منها، فسألت بعضًا ممن يعالجون بهذه الطريقة عن العلاقة بين الكي في باطن القدم والخاطر، فقالوا بأن الأعصاب تُستثار بواسطة الكي فيحدث تغيير في وظائفها نتيجة لاستجابتها فتزول أعراض المرض، والله أعلم.

وعالج الثقفيون أمراض المعدة بشرب النانخة والسنامكي وخاصة في حالة المغص الشديد، أما في حالة الإمساك فهم يشربون زيت الخروع وفي حالة الإسهال يأكلون الرمان والحُمّص وصفار البيض المطبوخ.

واختص بعض الثقفيين في معالجة أمراض العيون، فإذا تضرر أحدٌ من عينيه لوجود ماء أبيض فيها يستخدم هذا المختص آلة مدببة تُسمى بـ «المخيط» يثقبُ بها الغشاء الذي كوّن الماء، ثم يعزل المريض في غرفة مظلمة وعيناه معصوبتان لمدة معينة يخرج بعدها للضوء تدريجيًا، وأحيانًا يحالف الحظ المريض فتنجح العملية وأحيانًا تفشل فيفقد بصره.

وفي حالة العماش، وهو الرمد في العين الذي غالبًا ما يصيب الأطفال يقوم المختص بدق أوراق شجر الشذاب المعروف في المنطقة وعصره وتصفيته ثم تنقيطه في العين يتماثل المريض بعد ذلك للشفاء.

وفي معالجة الجروح استخدموا ورق «العُثرب»(*) حيث يدُقّ ويوضع على الجرح فيساعد على إيقاف النزيف وقتل البكتيريا، وأحيانًا يستخدمون الرماد أو قشور الرمان. .

وفي علاج الدمامل يستخدمون الحِربَاء ويجعلون فمها أمام الدُّمل المقصود مباشرة فتسرع الحرباء في القبض على الدمل بفمها وتبدأ تمصه وبعد فترة وجيزة يشدُّونها بعد أن امتصت الداء فيشفى المريض وتموت الحرباء، وسبحان الله.

وفي علاج لدغة الحشرات السامة كالثعبان وما شابهه فإن المتبع أن يُربط العضو المصاب لكي لا يتسرب السُّم إلى الجسم، ثم يُشرط العضو بالمشرط لإسالة الدم وفيه السم ويوضع بعد ذلك بعض الثوم المدقوق مكان اللدغة ويبقى تحت المراقبة حتى يتماثل للشفاء.

وفي علاج الشقيقة ووجع الرأس كان البعض يستعمل الكي كوسيلة للشفاء، وهذه الطريقة مع الأسف لها آثار سلبية حيث إن ضررها أكثر من فائدتها على المريض، وكان البعض الآخر ـ وهؤلاء أقرب إلى الواقعية ـ يستخدمون الماء البارد ووضع أوراق شجر الشثّ على الرأس.

(*) العثرب: شجر ينبت على ضفاف الوديان والمزارع وطعمه مر.

ولألم الأسنان استخدم الثقفيون مادة الزنجبيل بوضعه مسحوقًا على مكان الألم، وأحيانًا يستخدمون أوراق شجر العُثرب بمضغها.

وفي حالة الفتق يكوى المريض على المكان المصاب ويمنع وصول الماء وأحيانًا يحمى عن بعض المأكولات لمدة معينة، وغالبًا ما يكون العلاج بالكي في مثل هذا المرض مفيد وناجح، والله أعلم.

هذا ما كان عليه الوضع الطبي في ثقيف، ولكن ما تراه اليوم يختلف في الشكل والمضمون عما كان في الماضي، حيث حظيت المنطقة بالرعاية الصحية في مختلف المجالات، وحرص المسؤولون في حكومتنا الرشيدة على تقديم أفضل الخدمات الطبية للمواطنين في أماكن تواجدهم بدل الانتقال إلى أماكن أخرى، فتم افتتاح مستوصفات في كل من ترعة عام (١٣٨٣هـ) وقها عام (١٣٩٣هـ) والمجاردة عام (١٣٩٥هـ) مجهزة بأحدث الأجهزة والمعدات الطبية ومزودة بالأدوية المجانية، واليد العاملة المدربة من أطباء، وصيادلة وممرضين وخدم، ويشرف عليها موظفون مؤهلون من أبناء البلد يعملون بكل همة وإخلاص.

وتقوم هذه المستوصفات بتقديم الخدمات الصحية اللازمة للسكان من وطنيين ومقيمين، وفي الحالات المستعصية يقوم المستوصف المختص بإحالة المريض إلى مستشفى ميسان في بني الحارث أو إلى المستشفيات الكبيرة المتخصصة في مدينة الطائف إذا كانت الحالة تحتاج إلى رعاية قد لا تكون متوافرة في مستشفى ميسان.

كما تقوم هذه المستوصفات بفتح ملفات للأسر لمعرفة ومتابعة الحالات المرضية عند أفراد كل أسرة، وتقوم أيضًا برعاية خاصة للأطفال فتقدم لهم التطعيمات اللازمة والخدمات الطبية المناسبة لأعمارهم.

ومستوصفات المنطقة في مبانٍ مستأجرة ما عدا مستوصف ترعة حيث قامت وزارة الصحة مشكورة في عام (١٤٠٥هـ) بإنشائه على رقعة واسعة مشتملاً على كل المرافق الطبية اللازمة.

الآثـــار:

ودراسة الآثار الموجودة في بلاد ثقيف تُترجم لنا الواقع الفكري للمجتمع الثقفي من حيث التخطيط والبناء والقدرة على الإنجاز في زمن قلّت فيه الامكانيات وصَعُبت فيه ظروف المعيشة.

والإشكال فيما يتعلق بالآثار هو نُدرة المصادر والوثائق التاريخية التي تحكي تاريخ هذه الآثـار وأهميتها، ولهذا كان اعتمادي في تدوين المعلومات على الروايات التي قد يشوب بعضها شيء من التلفيق والزيادة.

ومن الآثار المعروفة في المنطقة «بيت الجاهلية» في قرية قها، وهو عبارة عن منزلٍ قديم لا يُعرف متى بُنِيَ ويتكون من ثلاثة أدوار مبنية بالحجر، ومن الصعب التكهن بالطريقة التي تمّ بها البِناء، لاسيما وأن بعض الأحجار المبنية في الدورين العلويين كبيرة في حجمها. ويبلغ ارتفاع المبنى حوالي اثنا عشر مترًا، أما عرضه فيختلف من جهة لأخرى، فمن ناحية الشمال والجنوب يبلغ عرضه عشرة أمتار ومن ناحية الشرق يبلغ عرضه أثنا عشر مترًا، ومن ناحية الغرب سبعة أمتار.

ويبدو أن الدور الأسفل من المبنى كان يستخدم لإيواء الماشية من أبقار وأغنام كما هي العـادة السائدة عند القبائل قديمًا، أما الأوسط والأعلى فاستُخدما كمساكن للعوائل. ومما لوحظ على هذا المنزل وجود درج داخلي ضيق يبدأ من الدور الأسفل حتى الأعلى واسمه المتعارف عليه قديمًا «السُّقاطة». ويبدو أن تصميم هذا الدرج على هذا النحو كان بهدف الحماية حيث يستطيع السكان الانتقال من الدور الأسفل حتى الأعلى والعكس بالعكس دون الحاجة إلى الخروج من المنزل، لاسيما وأن الناس قديمًا كانوا يتعرضون للاعتداء والقتل من حين لآخر لعدم توافر الأمن مما يضطر الناس إلى تصميم منازلهم بشكل يضمن لهم الأمن ما استطاعوا.

ويقع خلف هذا المبنى مبانٍ أخرى متهدمة، ويروى كبار السن أن أحد هذه المباني كان يدعى بـ «المُشيّدة» يستخدمه رئيس القبيلة لسجن من يرتكب عملاً يُخالف

فيه قوانين القبيلة أو الولاية في الحجاز. ومن المشائخ الذين استخدموا هذا المكان وسكنوا فيه الشيخ حميد بن يوسف الثقفي خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري. ومما يُؤيد هذه الرواية ما ورد في وثيقةٍ عثرتُ عليها تتضمّن تكليفًا من الأمير عبدالله بن زيد «والي الطائف» للشيخ حميد بن يوسف الثقفي ونصها كالتالي:

«من عبدالله بن زيد الفعر إلى من يراه من النِّدبة ومن يراه من الشُّرمان كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد لا يخفاكم إن نحن قلّطنا عليكم حُميد بن يوسف الثقفي شيخ كاف ونُلزمكم له بالسمع والطاعة في طاعة الله ورسوله وفي ما يأمركم به من خدمتنا فأنتم اعملوا بمضمون هذا والحذر المخالفة والسلام»(*).

وعبدالله بن زيد من مواليد **١٢٩٦هـ** وعُيِّن على إمارة الطائف خلفًا لأبيه سنة **١٣٣٢هـ** حسب ما أورده الشريف محمد بن منصور في كتابه «قبائل الطائف وأشراف الحجاز»[1].

ومن الآثار القديمة في المنطقة مسجد مُعاذ بن جبل بقرية المجاردة، وليس هناك وثيقة أو نقش صحيح يُثبت أن هذا المسجد بناه فعلاً معاذ بن جبل ولكن الرُّواة يتناقلون هذا الخبر على ألسنتهم. أما النقوش الموجودة على أبواب المسجد فتُشير إلى أن المسجد تم تجديده سنة واحد وسبعين للهجرة النبوية، والنقوش الموجودة تمثل الطرز المعمارية الفنية الجميلة التي كانت تزهو بها المساجد منذ عهود قديمة، وقد طرأ على المسجد تحسينات حديثة قام بها الأهالي كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

ومن الآثار الأخرى الموجودة في بلاد ثقيف المرصد الفلكي الشعبي الموجود بقرية المجاردة، وهو عبارة عن شقوق أو رسوم محفورة في الصخور على مسافات معينة ترصدُ حركة الشمس اليومية بعد شروقها في الصباح فيعرف الخبير الفلكي بداية الفصول والمواسم الزراعية وأيام المناسبات والأعياد.

وهذا المرصد قديم جدًّا ولا يُعرف متى تم عمله ولكن الأهالي توارثوا معرفته وأصبح في كل جيل أناس يعرفون خصائص هذا المرصد بدقة جيدة، وفي الوقت

(*) انظر الوثيقة في الملحق رقم (٥).

(١) محمد بن منصور بن هاشم، قبائل الطائف وأشراف الحجاز ص ٥٠.

الحاضر يقوم المكرم عُبيدان بن عطية الثقفي بأعمال هذا المرصد وله به معرفة جيدة قلّما تتوافر عند غيره من أبناء المنطقة.

وفي المنطقة يوجد بعض الآبار القديمة والمنحوتة في الصخر بطول عشرين إلى خمسة وعشرين مترًا، ولا يُعرف متى حُفرت وبأيّ نوعٍ من الآلات استُخدمت فيها، وهذا النوع من الآبار[1] كثير ومنتشر في مختلف أنحاء المنطقة، ويبدو أن المنطقة كانت قديمًا تتعرض لفترات طويلة من الجفاف مما جعل القدماء ينحتون مثل هذه الآبار العميقة والصعبة في الوقت نفسه.

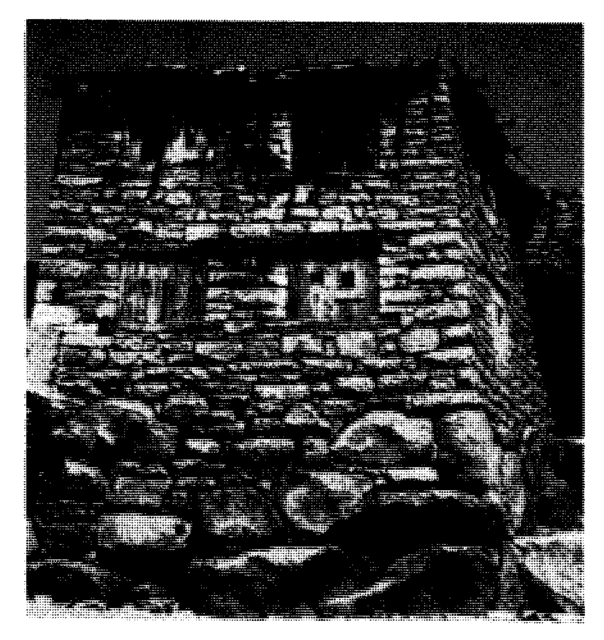
والحصون المبنية من الحجر على ارتفاع يصل أحيانًا إلى عشرة أمتار تعد من أهم الآثار البارزة في بلاد ثقيف، وهذه الحصون بُنيت على مرتفعات تشرف على القرايا وما حولها، وكان سبب بنائها ما عانته القبائل قديمًا من الحروب وعدم الأمن والاستقرار، فكانت خير وسيلة تتمتع بها القبيلة وتحمي نفسها من الاعتداءات الخارجة عليها.

وفي كل حصن من الحصون هُناك أماكن لحفظ المؤونة واستراحة للمتناوبين الذين غالبًا ما يدخلون الحصن أثناء الليل خشية تعرضهم لأعدائهم في غير ذلك الوقت. ومما يدعو إلى الاستغراب أن بعض الحصون في المنطقة بنيت على قمم الجبال وجُلبت لها الحجارة الثقيلة على الرغم من عدم وجود الوسائل المعمارية الحديثة وصعوبة الطرق إلى رؤوس الجبال.

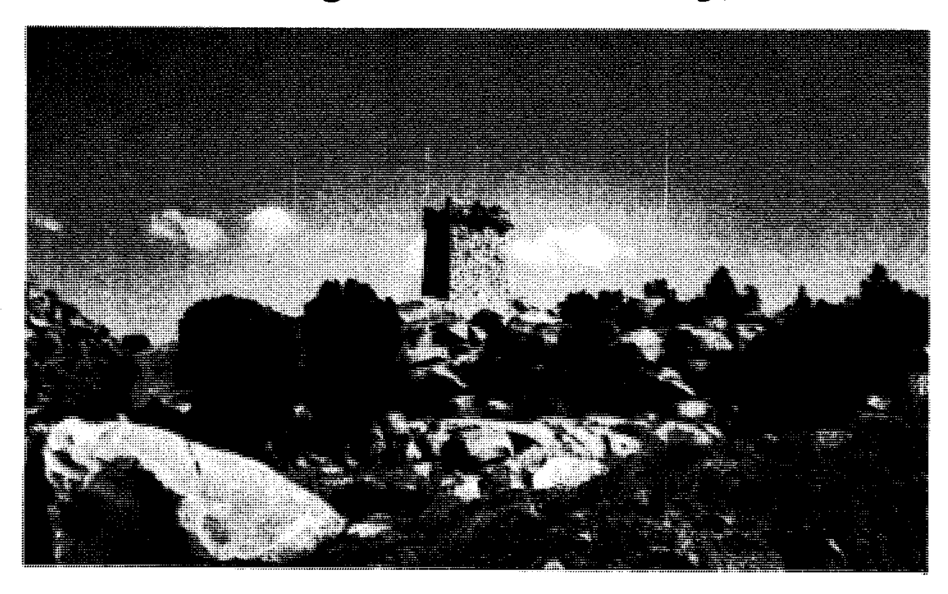
ومن الحصون المعروفة والتي لا تزال آثارها قائمة حصن «منيف»، وحصن «حريزة»، وحسن «المشيّدة»، وحصن «الشرمان»، وحصن «اللهام»، وحصن «الحدب» وغيرها من الحصون المنتشرة في المنطقة.

وكان لهذه الحصون شأنها في حماية القرى ولعبت أدوارًا عظيمة في تاريخها، إلا أن أهميتها هذه انتهت بعد أن قام الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بتوحيد المملكة العربية

(١) يُطلق على بعضها «آبار هلالية» مما يدل على قدم عهدها وأنها منذ عهد بني هلال المتعارف على قِدَمِ عهدهم في التاريخ.



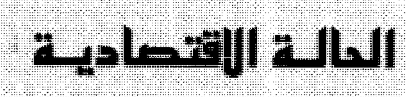
مبنى الجاهلية المشهور بقدمه ولا يعرف تاريخ بناءه.



أحد الحصون الأثرية الموجودة في المنطقة.

السعودية فاستقرت الأمور وساد الأمن وأصبح المرء ينتقل من مكان إلى آخر وهو مطمئن البال لا يخشى الاعتداء على نفسه وماله وعرضه، وأصبحت الحصون مجرد آثار تُعلمنا كيف كان الماضي وماذا أصبح عليه اليوم.

الفصل الخامس



* الزراعة
* التجارة
* الصناعة
* الرعي



الحياة الاقتصادية في منطقة بلاد ثقيف تنوعت تبعًا لاهتمامات السكان المختلفة، فالاهتمامات القديمة عند السكان ليست كما هي في الوقت الحاضر، فبينما كانت الزراعة تمثل الجانب الرئيس في اقتصاد المنطقة أصبحت في وقتنا الحاضر غير ذلك، والتجارة التي أخذت صفة التنقل من مكان إلى آخر أصبحت لها أماكنها المعروفة، وبعض الصناعات التي سادت في المنطقة انقرضت اليوم وليس لها وجود اطلاقًا، والرعي والصيد كان لهما وضعهما المتغير أيضًا.

الزراعة:

ولنبدأ بالزراعة، تلك الحرفة التي امتهنها معظم سكان المنطقة قديمًا حيث كانت عصب الحياة بالنسبة لهم، فعليها يعيشون وبمنتجاتها يتبادلون التجارة ولا غنى عنها إطلاقًا.

ولأن منطقة بلاد ثقيف تتميز بطبيعة جبلية في معظم أجزائها، فالمساحات الزراعية قليلة جدًا، ومع ذلك فإن الأهالي أولوا الزراعة اهتمامًا كبيرًا فلم يتركوا جزءًا من أراضيهم إلا وزرعوه خلال المواسم الزراعية المعروفة، حتى أنهم - لقلة المساحات - استصلحوا في كثير من الأماكن مدرجات زراعية من أجل زيادة المساحة المزروعة واستغلالها، وكان اعتمادهم على الزراعة سببًا في اهتمامهم بإصلاح الأراضي وتسميدها والعناية بها وحفر الآبار وتعميقها.

والزراعة تعتمد على مصدرين رئيسيين هما الأمطار والآبار، والأراضي التي تسقي بالأمــطار فقط تسمى بـ «العشــري» وتلك التي تُسقى بواســطة الآبــار تسمى بـ «المسقـوي»، وهـذا المصـطلحات متعارف عليهما عند المزارعين حتى في حالة البيع والشراء تكون الأراضي المسقوي أغلى بكثير من تلك العثري.

وقـديمًا استخـدم النـاس الحيوانـات لرفع المياه من البئر حيث يثبت على ظهر الثور القَتبْ(*) ومربوط فيه الرِّشَا والمِقَاط(**) اللذان بواسطتهما يُسحب الغَربْ(***) وهو مملوء ماء من قعر البئر حتى أعلاها فيتم تفريغه في القُف(****)، حيث تجري المياه بعد ذلك عبر قنوات خصصت لذلك تُسمى بالفلجان حتى المزارع.

وأحيانًا لا تفي البئر بالماء الكافي نظرًا لتعدد الأراضي الزراعية عليها لعدد من المـزارعـين، وفي هذه الحـالة كان ومازال المزارعون يستخدمون نظام «الشِّرب» وهو تخصيص أيام معلومة لكل مزارع بحيث يكون لفلان من الناس يوم والثاني يوم والثالث يوم كل واحد حسب مساحة أرضه.

ولزيادة كمية المياه في البئر أو لإشباع الأراضي بالماء أثناء نزول الأمطار، فقد قام المزارعون بتنظيم وبناء قنوات مائية تبدأ من أعالي الجبال حتى الأماكن المقصود ريّها،

(*) هو عبارة عن قطع خشبية مصنوعة بطريقة جيدة وتحتها قماش أو جلد محشو بمادة الطُّرف أو ما شابه ذلك لكي لا يتأذى جلد الحيوان من ذلك.

(**) الرشا والمقاط حبلان يوصلان بين الغرب والقتب ومصنوعان من الجلد ومفتولان بطريقة جيدة. والفرق بينهما أن الرشا أمتن من المقاط، وبينما يمر الرشا من على المحالة تلك الآلة الخشبية المدورة، يمر المقاط من على الدراجة وهي أيضاً آلة خشبية مدورة. وكلتا الآلتين مثبتتان على القِناعة (الأعواد الرئيسية المثبتة على رأس البئر) ويهدفان إلى تيسير عملية مرور الحبال (الرشا والمقاط) أثناء طلوع الغرب ونزوله، وورد ذكر المقاط بمعنى الحبل الصغير الشديد الفتل في القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ٨٨٩ مما يدل على صحة التسمية لغويًا.

(***) الغرب هو محمل من الجلد مصنوع بطريقة تجعله يستوعب حوالي أربعين أو خمسين لتر من الماء، ويتم تنزيله إلى البئر بواسطة الرشا والمقاط، ويربط في وسطه حبل رفيع مربوط في رأسه حجر صغير يسحب الغرب إلى داخل الماء مما يساعد على تعبئته بطريقة أسرع، ويسميه المزارعون بالمِدلاء.

(****) القف هو حوض صغير يتم تفريغ ماء الغرب فيه، وغالبًا ما تكون أرضيته مرصوفة بأطباق حجرية متراصة لكي تساعد على تصريف الماء إلى القنوات المخصصة له.

وهي ما تسمى بالفالقة جمعها «فوالق» وغالبًا ما تقوم المنازعات بين المزارعين حول هذه القنوات.

وقديمًا استخدم المزارعون الآلات القديمة في الزراعة، فعند الحرث استخدموا اللومة أو المشعاب وهي آلة مصنوعة من الخشب تجرها الأبقار، وبعد الحرث تستخدم المدمسة(*) لتسوية الأرض وتغطية البذور، وهذه التسمية لغويًا سليمة حيث أثبتت ذلك قواميس اللغة مثل القاموس المحيط للفيروز آبادي ولسان العرب لابن منظور. وسمّد المزارعون أراضيهم بالسماد الطبيعي المسمى بـ «الدِّمن»[1] وهو من مخلفات الأبقار والأغنام المُربّاة عندهم حيث كان كل مزارع يوجد لديه مكان خاص لجمع هذه المخلفات يسمى بـ «الدّمنة»، وإذا ما اقترب موعد الموسم الزراعي قام كل مزارع بتسميد مزارعه وحرثها وتنظيفها.

ولحماية مزرعته من الطيور بنى المزارع في مكان مرتفع مبنى صغير يدعى بـ «المَحماه» أو «الدّبُل» ومن فوق المبنى يستخدم المزارع «المقلاع» لإبعاد الطيور، والمقلاع عبارة عن قطعة من الجلد مربوط في طرفيها حبلين، فيضع حصى صغيرة في قطعة الجلد ثم يمسك طرفي الحبلين بيده ويلف يده مرارًا ثم يفلت أحد الحبلين فتنتشر الحصى الصغيرة على الزرع على مسافات بعيدة فلا تتمكن الطيور من الاقتراب من سنابل الزرع.

وللحصاد عندهم طرق مختلفة حسب نوعية المحصول من فاكهة أو حبوب، فالتين وهو ما يسمى بالحماط[2]، والعنب بنوعيه الأبيض والأسود يجمعونه ويستهلكون بعضه ويهدون إلى أصدقائهم والباقي يضعونه في أماكن نظيفة تحت الشمس حتى يجف

(*) المدمسة هي قطعة خشبية كبيرة غالبًا ما تكون من جذوع الأشجار ولها بطن مستو وناعم، وتُسحب على الأرض المحروثة بواسطة الأبقار فتعمل على تسوية المرتفع مع الواطيء من الأرض مما يساعد على تغطية البذور تمامًا.

(١) أورد الفيروز آبادي في الدّمن قوله: الدِّمن في اللغة هو السرفين المتلبد والبعر، ودمنت الماشية المكان تدمينًا. (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ١٥٤٤. وعُرفًا هو التبن.

(٢) أورد الفيروز آبادي ذكر الحماط بقوله: شجر شبيه بالتين وهو التين الجبلي (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٨٥٥).

فيحفظونه لأكله في الفترة التي لا ينتجون فيها. والرمان أيضًا يُحفظ بعضه في مكان نظيف بعيدًا عن الآفات الحشرية ولكن لفترة قصيرة لعدم تحمله مثل بعض الفواكه الأخرى.

أما حصاد الحبوب فيمر بمراحل وله طريقته الخاصة حيث كُنّ النساء ينزلن مع الرجال إلى الأرض المزروعة، بعد استواء المحصول، فيقومون بصرم(*) المحصول بواسطة آلات خاصة تسمى «الأمحاش» مفردها «محش» وهي مصنوعة خصيصًا لهذا الغرض، ثم يحملون المحصول إلى أماكن خاصة تدعى بـ «الجُرن» مفردها «جرين» وهو مكان صخري منبسط ومستو، وفي وسطه مثبت عمود من الخشب على ارتفاع متر ونصف تقريبًا وهذه هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة «الدِّياس»(**) وهذه المرحلة غالبًا ما تتم بعد أن يكون قد مر على الحصاد مدة كافية تحت أضواء الشمس يكون الحصاد بعد ذلك يابسًا مما يسهل على الماشية دهسه، وفيها يقوم المزارع بربط عدد من الأبقار والحمير من رقابها جنبًا إلى جنب حيث يربط أحدها بالخشبة المثبتة وسط الجرين وهو ما يسمى بـ «القاعدة» ثم تُربط البقية متراصة حتى الأخير وهو مايسمى بـ «المطيفة» لأنه يطوف على الجرين ببقية الماشية وبإمكانه التحكم في السرعة حسب قوته ونشاطه. وأثناء دهس الماشية على الحصاد اليابس بأظلافها يحدث في بعض الأحيان انتشار المحصول إلى أماكن أبعد من مساحة الجرين مما يفقد على المزارع جزء منه، ولتجنب ذلك استخدم المزارع آلة خشبية لترديد المحصول المتبعثر إلى قلب الجرين وهي ما يسمونها بـ «المرواح». جمعها «مراويح» وأثناء الدياس يوضع على أفهام الماشية أغطية مخرقة من أجل التنفس واسم الغطاء الواحد منها «غمامه»(***) جمعها

(*) يوم الحصاد يسمى عندهم بـ «الصِّرام» وهو اليوم الذي يصرمون فيه الزرع، والكلمة لغويًا صحيحة فقال الفيروز آبادي صرمه يصرمه صرما أي قطعه باتًا وأصرم النخل حان له أن يُصرم. الفيروز آبادي «القاموس المحيط» ص ١٤٥٧هـ.

(**) الدِّياس مشتقة من داس ودوس وهو الوطء بالرجل، والمدوس ما يداس به الطعام. (الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٧٠٤) وأعجبني كثيراً ما دونه الدكتور عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر في كتابه «أي بني» من معلومات قيّمة عن الدِّياس ووصفه وعن أشياء كثيرة عاشها أسلافنا ـ رحمهم الله ـ (عبدالعزيز الخويطر، أي بني، ص ٩٥).

(***) هذه تصنع من سعف النخل أو من خيوط الدُّبارة.

ثمر اللُّوز في منتصف فصل الربيع .



شجر الرمان المنتشر على أطراف البلد الزراعية .

غمائم. ويأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة من الحصاد وهي عملية التصفية وتنقية الحبوب حيث أن النساء (في الغالب) يقمن في اليوم الذي تكون فيه الرياح نشطة ـ يقمن ـ بتذرية المحصول ويستخدمن بعد ذلك الغربال لتنقية الحب عن القشر ثم يجمع المحصول في أوعية خاصة مصنوعة من سعف النخيل بطريقة فنية رائعة تسمى بـ «القَفْعة»(*) والتي من مميزاتها أنها صُممت لحفظ الحبوب لعدة سنوات دون أن يحدث عليها ما يؤثر على استعمالها.

ومن المحاصيل الزراعية التي تزرعها المنطقة، القمح، الذرة، الشعير، الدخن، العدس، الحبش، والدِّجر، أما الفواكه فهي الرمان والخوخ والعنب بنوعيه (الأبيض والأسود) والمشمش والسفرجل والحماط «التين» والبرشومي (التين الشوكي) والتفاح البلدي، وأهم المزروعات التي كانت وما زالت زراعتها مهمة هي زراعة شجر اللوز والذي له مردود اقتصادي كبير عند معظم السكان.

هذا ما كانت عليه الحالة الزراعية في الماضي ولكن شاء الله تعالى وتأتي فترة الأمن والأمان والاستقرار والتطور في العهد السعودي الزاهر وتدخل الزراعة كغيرها من المظاهر الاقتصادية مضمار التقدم والنمو الذي شمل جميع مرافق الحياة، فحلّت الآلات الحديثة من حراثات ومضخات ماء وآلات حصد وتراكتورات بدل تلك الوسائل الأولى، واستخدم السماد الكيميائي بشكل أوسع وحظي المزارعون بالمساعدات النقدية والعينية، فحفُرت الآبار واتسع نطاق استخدام الآلات الزراعية ووُزعت الأسمدة والمضادات للآفات الحشرية وانتشر الإرشاد والتوجيه اللازم للمزارعين، فكانت النتيجة أن تحسّنت أمور الزراعة وزاد الإنتاج ودخلت على المزارعين أنواع زراعية جديدة خاصة فيما يتعلق بالخضروات التي لم تكن معروفة سابقًا مثل القوطة «الطماطم»، الكوسة، البامية، الخيار، والفاصوليا، وغيرها كثير.

والتغير الواضح الذي طرأ على الناحية الزراعية، أنه على الرغم من هذه المساعدات السخية والخدمات الجيدة، إلا أن الملاحظ في الفترة الأخيرة أن كثيرًا من أبناء المنطقة هجروا الزراعة واتجهوا إلى الوظائف الحكومية مما أدى إلى الاعتماد على العمالة الأجنبية وأصبحت كثير من الأراضي الزراعية مهملة.

(*) القَفْعة ذكرها الفيروز آبادي وابن منظور على أنها مستديرة يجني فيها الثمر ونحوه. (القاموس المحيط ص ٩٧٣).

التجـــارة:

والتجارة في بلاد ثقيف تمثل المظهر الثاني من المظاهر الاقتصادية فتأتي من حيث الأهمية في الدرجة الثانية بعد الزراعة.

والثقفيون مارسوا هذه المهمة منذ زمن طويل وكان لهم دور بارز في هذا المجال على الرغم مما حدث من تغيير مستمر في الأوضاع التجارية على مر السنين. فقديمًا كانت التجارة تُقام في أسواق معروفة في أيام معلومة من كل أسبوع[1]، وكان اليوم الذي يقام فيه السـوق هو يوم الأربعـاء حتى أصبحت تسمية السـوق عنـد الأهالي بـ «سوق الـربوع». ولهذا السوق مكانين يقام فيهما الأول في قرية «المِغَدة» التابعة لقبيلة بني جاهـل من ثقيف والثـاني في قرية «الـدارين» التـابعة لقبيلة الندبة، ولذلك تعارف الناس، في حالة المُساءلة عن مكان السوق بأنه «جاهلي» إذا كان عقده في قرية المِغَدة، ونُديبي إذا كان عقده في قرية الدارين.

وليس لدينا من الوثائق ما يخبرنا عن تاريخ تأسيس هذا السوق وعن اتفاق قبائل ثقيف فيما بينهم على تناوبه بهذا الشكل كل يوم أربعاء، إلا أنني بهذه المناسبة عثرت على اتفاق[2] بين رؤساء قبائل ثقيف مؤرخ في عام ١٣٧٧هـ وفيه ما ينص على تضامنهم وأن السـوق للجميع ومصـالحه لقبائل ثقيف عامة، وأشهدوا في نهايته على أنفسهم شاهدين من قبيلة بني الحارث المجاورة لهم من ناحية الشمال وهما: حامد بن عبدالرحمن الشداني الحارثي وحميدان بن حماد العمراني الحارثي وهما من قرية الشعاعيب بميسان ببني الحارث.

أمـا الـرؤساء الذين أمضوا الاتفاق فقد مضى إلى رحمة الله عددٌ منهم وهم: على بن رابع، محمد بن خوضان من قبيلة الندبة، شاكر الحُكير من قبيلة بني جاهل، عبـدالمعـين البخ، عطية بن حامدي، عبدالله بن شرقي، محمد البقم من قبيلة بني

---

(١) هذه الظاهرة ليست غريبة حيث أشار حسن إبراهيم حسن أن الأسواق الأسبوعية كانت تُقام في مختلف أنحاء العالم العربي في المدن والنواحي (حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ص ٤١٢).

(٢) أنظر الملحق رقم (٦).

يوسف، والذين لا يزالون على قيد الحياة حتى تدوين هذه الأسطر هم: صالح بن دباح، محمد بن ذياب من قبيلة بني جاهل، دخيل الله بن راجح من قبيلة بني يوسف، أحمد بن محسن وعلي بن محمد من قبيلة الندبة.

وكان سوق الربوع بمثابة النادي يجتمع فيه الناس ويتبادلون فيه البيع والشراء والأخبار عن مناطقهم، إضافة إلى حل بعض المشكلات بين قبيلة وأخرى حيث يتوافر المناخ الاجتماعي، بتواجد العقلاء والمصلحين وكُبار السن.

وتشمل السلع التي ترد إلى هذا السوق الحبوب بأنواعها والمواشي بأنواعها والأقمشة والأواني النحاسية والحلي والفضة والبسط والمظلات، أيضًا أخذت تجارة العسل والسمن واللوز أهمية خاصة لاسيما وأنها تمثل مصادر اقتصادية رئيسية لكثير من السكان. ولجودة هذه المنتوجات فإن بعض التجار غالبًا ما يذهبون إلى أصحابها في منازلهم لشراء ما يملكونه من إنتاج تجنبًا لمنافسة التجار لهم في السوق فتزيد أسعار البيع عليهم.

وقديمًا استخدم الناس الأوزان والمقاييس التي كانت سائدة، فالمد والصّاع والرّبعة والرُّبيعة والأُقّة والزّنة والثّامنة أُستعملت بالنسبة للحبوب والسمن والعسل واللوز، والذِّراع والشِّبر استعملتا بالنسبة للأقمشة، ثم طرأ تغيير على استعمال هذه الأوزان والمقاييس فحلّ الرطل والكيلو والمتر والبوصة مكانها.

والتجارة في بلاد ثقيف لم تقتصر على السوق الآنف الذكر فقط، فكان الثقفيون يمارسون التجارة في الأسواق الأخرى الموجودة عند القبائل المجاورة خاصة في بني الحارث وبني مالك فيجلبون معهم ما لم يكن موجودًا في «سوق الأربعاء» أو «سوق الربوع»، كما يلفظونه، ثم يأخذون معهم بعض ما يجدونه في السوق وليس موجودًا في غيره. وأهم السلع التي كانوا يجلبونها من الأسواق الأخرى البنادق والبارود والرصاص.

ولأن وسائل النقل الحديثة لم تكن متوافرة، فقد استخدم التجار الجمال والحمير لنقل بضائعهم من مكان إلى آخر، مما يجعلهم يستغرقون فترة طويلة حتى وصولهم إلى الأسواق وعودتهم منها، حتى أنهم يصطحبون معهم الماء والزاد لمقاومة مشقة ذلك اليوم.

والحالة التجارية التي سادت في المنطقة لم تعد كما هي بعد أن حظيت بلاد ثقيف بمجهودات الدولة السعودية، حيث تيسرت المواصلات واستخدمت وسائل النقل الحديثة في نقل البضائع، وبدأ التجار يؤسسون البقالات الكبيرة في قراهم، ويتعاملون مع الوكالات التجارية والشركات الموجودة في المدن حتى أصبح المواطن يجد في قريته جميع ما يحتاجه من مواد غذائية إلى ملابس وأجهزة كهربائية وما شابه ذلك.

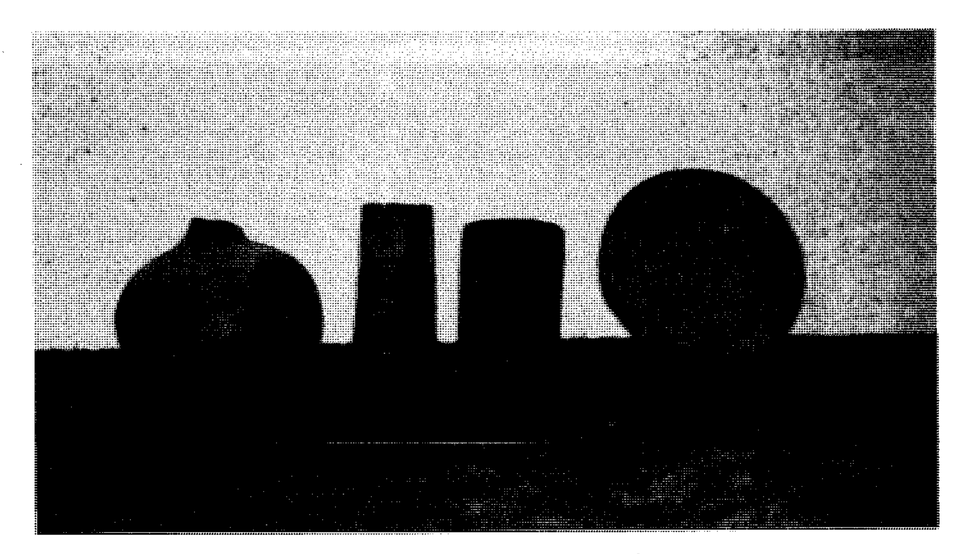
ورغم ما حدث من تطور، فالسوق القديم «سوق الربوع» استمر في نشاطه وبُنيت فيه المحلات التجارية ولا يزال يعقد في كل يوم أربعاء لاسيما وأن الناس اعتادوا الذهاب إليه فيجدون فيه أنواعًا جديدة من السلع إضافة إلى توافر مناخ المنافسة بين عدد من التجار فتنخفض الأسعار مما يحقق الفائدة للمواطن.

الصناعة:

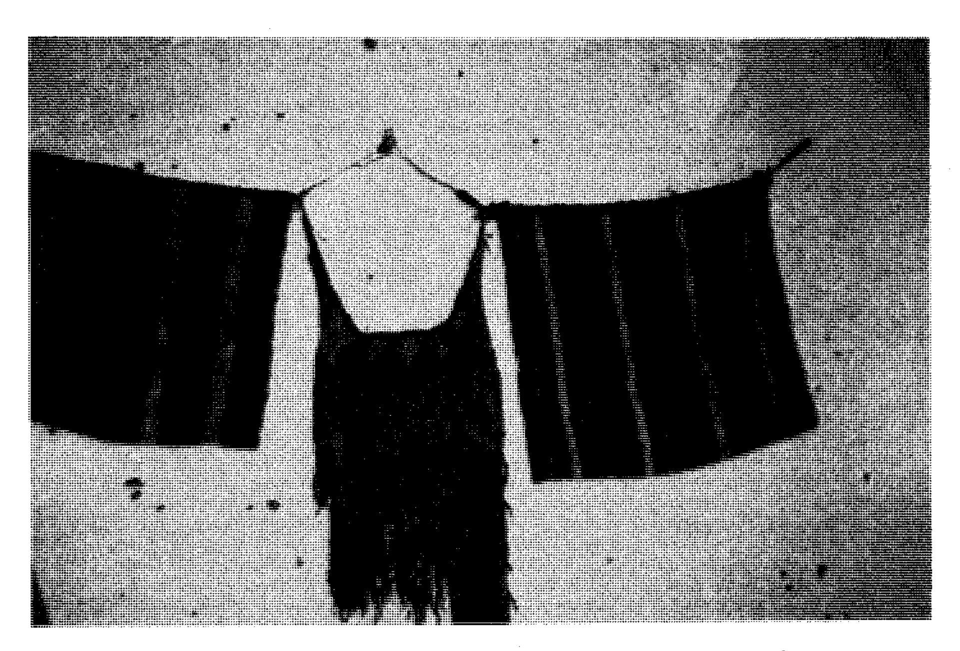
والصناعة من الحرف التي كانت سائدة في بلاد ثقيف وكان لها شأنها كبقية الحرف الأخرى، إلا أنها كانت في الماضي أكثر حيوية منها في الوقت الحاضر، ولعل السبب في ذلك ما حدث من تطور في التكنولوجيا الحديثة في كل حقل مما أدى إلى إهمال السكان لتلك الصناعات البدائية وعدم تطويرها. ومع ذلك يجب أن نشير إلى ما كانت عليه هذه المهنة وإلى ما وصلت إليه. ففي الماضي كان أصحاب هذه المهنة لا يرقون في العدد إلى مثل تلك الأعداد في المهن الأخرى كالزراعة والتجارة، والذي يميز هذه الفئة اختلاف تخصصاتهم فهناك من عمل في صناعة البسط أو ما يسمى بـ «الشِّمال» مفردها «شملة»[1] وهذه الصناعة اختفت تمامًا، وهناك من عمل في صناعة البارود والبنادق،

---

(1) أورد الواسطي في تاج العروس، أن الشّمل عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به قال علي - رضي الله عنه - للأشعث بن قيس الكندي: إني لأجد بنّة الغزل منك فسئل - رضي الله تعالى عنه، فقال: كان أبوه ينسج الشمال باليمن.
(تاج العروس جـ ٧، ص ٣٩٧).



من اليمين إلى اليسار الصّحن، المُدّ، الصّاع، الدُّبية من الأدوات التي شاع استخدامها قديمًا في بلاد ثقيف.



الخُرج، وهو ما استخدمه التجار قديمًا لنقل بضائعهم على ظُهور الحمير.

وهنـاك من عمـل في صنـاعة الحُلي الفضية للرجال والنساء مثل الخواتم والحُزم جمع «حـزام» واللُّزم جمع «لازم» والأخـراص والقـلائـد والمِسك وتزيين جرّابات الخناجر والسيوف. وأخذت الصناعات الجلدية مكانها عند أبناء المنطقة، فصُنع «الدّلو» الذي استخدم لإظهار الماء من البئر وصنعت «الشكوة» التي استخدمت لخض الحليب حتى يروب ويستخـرج منه الزبدة، وصنعت «العيبة» التي حمل فيها النساء الأعلاف من الجبال، وصنع الغرب الذي استعمل لإظهار الماء من البئر بعد سحبه بالثيران[1]. ومن الصناعات الخفيفة الأخرى صناعة القرب مفردها «قربة» وهي من جلود الحيوانات ولها طرق خاصة في صناعتها حيث تدبغ وتدهن بمواد خاصة تُضفي عليها نكهة مقبولة وتجعلها لينة فيحفظ فيها ماء الشرب غالبًا ما يكون باردًا بعد وضعه فيها لمدة بسيطة وذلك لوجود مسام طبيعية في الجلد تعمل على تبريده.

وهاك أيضًا صناعة الجُعد مفردها «جاعد» وهي أيضًا من جلود الأغنام ذات الفروة الكثيفة حيث تدبغ بطريقة لا تؤثر على شعرها فتكون هذه الجُعّد بعد ذلك من أفضل المفـارش الـدافئـة خاصة في الفصول الباردة. ومن جلود الحيوانات الصغيرة صنعوا العِكاك مفردها «عُكّة» وذلك لحفظ العسل والسمن.

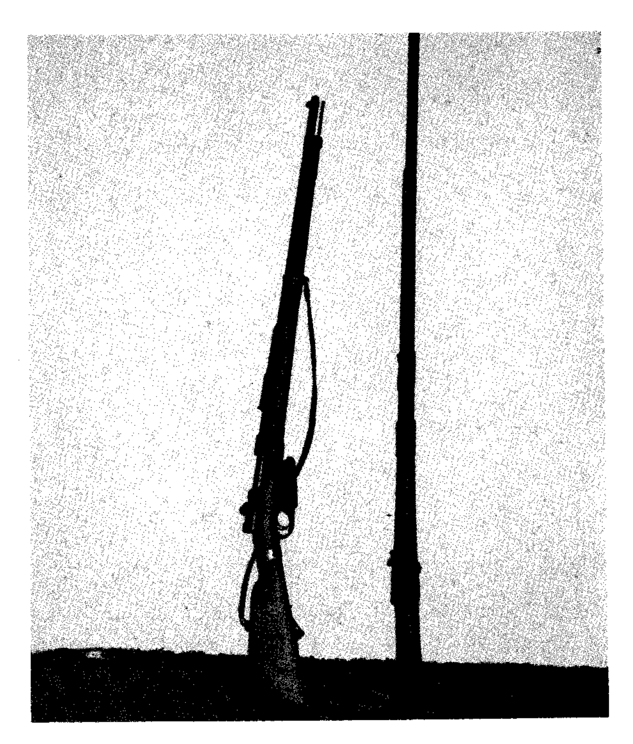
ومن الصناعات الخشبية في الماضي صناعة الأبواب والشبابيك والأعمدة الخشبية لحمل أسقف المنازل وهي ما تسمى بالزفر «أو زوافر، مفردها» زافر، والمِقرنة[2] التي توضع في رقاب الثيران أثناء حرث الأرض، واللّومة وهي الأداة التي تجرها الثيران أثناء الحرث أيضًا، والمدمسة التي تسحبها الثيران لمواسات الأرض المحروثة وغير ذلك من

---

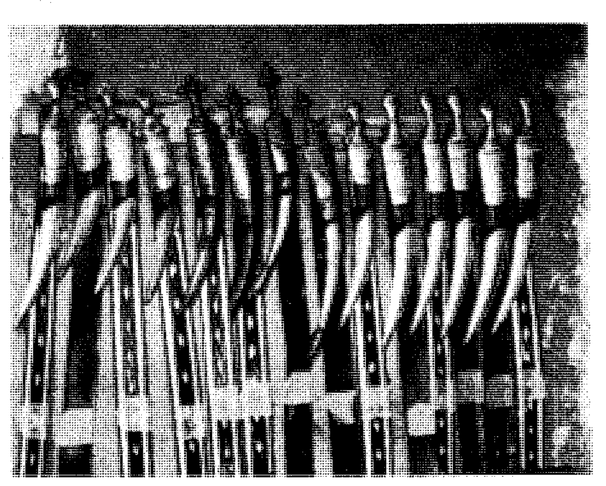
(١) هذه المسميات عربية الأصل، وأورد معانيها القاموس المحيط على النحو التالي: الدلو وعاء جلدي يُرسل في البئر ص ١٦٥٦، والشّكوة هي وعاء من أدم للماء واللبن ص ١٦٧٧، والعيبة هي زنبيل من أدم ص ١٥٢، والغرب هو الدلو العظيمة ص ١٥٣.

(٢) الزافر هو العمود الخشبي الذي يُقام وسط المنزل لكي يعتمد عليه السقف وقال عنه ابن منظور في «لسان العرب» أنه خشبة تُقام وتعرض عليها الدُّعم، لتجري عليها نوامي الكرم، «لسان العرب جـ ٤، ص ٣٢٦».

والمِقرنة: عرّفها أيضًا ابن منظور بن الخشبة التي تُشد على رأس الثورين. (لسان العرب جـ ١٣، ص ٣٣٨).



القداحي من اليمين وأم أصبع من الشمال من أنواع الأسلحة المستخدمة في الماضي.



أنواع الخناجر قديماً.

الأدوات الخشبية لمختلف الاستعمالات[1]. أيضًا هناك بعض الأدوات الزراعية والمنزلية المصنوعة من الحديد والتي كان يقوم بصناعتها فئات متخصصة، ليسوا أصلاً من أبناء القبيلة يطلق عليهم بـ «الصُّناع»، وكان في كل قرية كبيرة[2] صانع يقوم بصنع احتياجات أهالي القرية من هذه الأدوات مثل السِّنة[3] والمسحاة والفأس والمحش والسكين والمجرفة والمنقل والمحماس واللنبة (القازة)[4] وغير ذلك من الأدوات المنزلية والزراعية البسيطة. والمكان الذي يقوم الصانع بعمل هذه الأدوات فيه يُسمى بـ «المصنعة»، وفيها يقوم واحد أو اثنان بإشعال الفحم بواسطة منفاخ الكير[5] حتى يتم صهر الحديد وتكييفه بالطريقة التي يرغبها الحداد.

وكانت النظرة الاجتماعية تمقت أصحاب هذه المهنة وتعدهم أقل منزلة من غيرهم، فالصانع أو الحداد في نظر الثقفيين غير معترف بأصله، ونادرًا ما يصاهره أحد من أبناء القرية. وهذه النظرة الاجتماعية بالطبع وراثية ومنتشرة في مناطق أخرى غير منطقة بلاد ثقيف، وهي مع الأسف نظرة سلبية وغير صحيحة لأن الله تعالى أوضح لنا أن التمييز بين الناس ليس بالحسب والنسب وإنما مقياس ذلك هو التقوى فيقول في كتابه الكريم: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[6]. وبفضل الله تنبّه الناسُ في الفترة

---

(١) منها المحّال والدراجه، وهي بكرات تُصنع من شجر الغرب الصلب وتستخدم لمرور حبال السقيا «الرشا والمقاط» عليها لتسهيل نزول وطلوع الغرب.

(٢) من القرايا التي كانت موجودة بها أماكن لهؤلاء: قها وترعة والجبيل والمجاردة.

(٣) السِّنة: هي آلة حديدية حادة مثلثة الشكل توضع في اللومة التي يجرها ثوران أثناء حرث الأرض فتعمل على شق الأرض بسهولة.

(٤) المجرفة آلة مدورة تستخدم لصنع الخبز والذي يسميه الناس في المنطقة «القرص».

والمنقل: هو طوق مدور من الحديد يعتمد على ثلاثة أضلاع يستخدم لحمل القدور وما شابهها عندما توضع على النار.

والمحماس: هو ما يستخدم لحمس البن على النار.

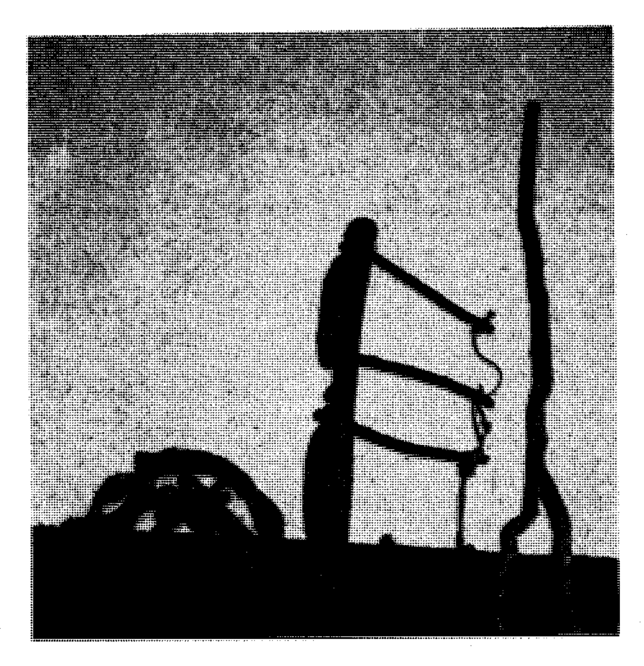
واللنبة: هي ما يسميه العامة القازة وهي تستخدم للإضاءة حيث يوضع فيها قليل من القاز وفتيل قابل للاشتعال.

(٥) الكير هي مجمرة الحداد من الطين (القاموس المحيط، ص ٦٠٧).

(٦) سورة الحجرات، آية رقم ١٣.



من اليمين صورة «العيبة» التي كانت تستخدم لجلب الأعلاف من الجبال وإلى يسارها «القربة» التي كانت تستخدم لحمل الماء من البئر.



بعض الأدوات الزراعية القديمة كالمِروَاح من اليمين ثم المِقرنه والقَتْب.

الأخيرة لهذا الخطأ، فتغيّرت الأوضاع وتقلّصت هذه النظرة وإن كانت لا تزال موجودة على نطاق ضيق جدًّا عند بعض الناس خاصة فيما يتعلق بموضوع الزواج منهم وإليهم.

والصناعات التي كانوا يمارسونها تقلصت أيضًا فلم نعد نسمع بوجود المصنعة وانتقل ذووها إلى المدن ومارسوا أعمالهم فيها لاسيما بعد أن وفّرت المصانع الحديثة تلك الصناعات كمًّا وكيفًا، وأثرت النهضة الصناعية في العهد الزاهر على تقلص الصناعات الأولية الأخرى فلم يعد لها وجود، وانتشرت في المنطقة الورش بأنواعها المختلفة التي تقوم بتصنيع الأدوات الخشبية والألمنيوم والحديدية بمقاسات وأحجام حسب الطلب، وتوافرت احتياجات الناس من الملابس والمفروشات بعد أن تعددت الوكالات التجارية والمؤسسات المتعددة.

الرعـــي:

والـرعي في بلاد ثقيف يحتـل المرتبة الرابعة بعد الزراعة والتجارة والصناعة، وحيويته في الماضي كانت أكثر بكثير من الوقت الحاضر. وكان أصحاب هذه المهنة في معـظمهم ممن لا يملكـون أراضٍ زراعية يعملون فيها ولهذا اختاروا الرعي كمورد اقتصادي لهم، ولطبيعة المنطقة الجبلية فإن الرعاة اختاروا ماشيتهم من الماعز والضأن، أما البقر فغالبًا ما تُربى في المنازل عند المزارعين ونادرًا ما يكون هناك منزل خالٍ من تربية البقر لاسيما وأن الناس في الماضي كانوا لا يستغنون عن منتجات الأبقار من لبن وحليب وسمن كما يستفيد المزارعون من سمادها. ولأن أغلب أراضي المنطقة مزارع وممتلكات خاصة فقد قمن النساء بإحضار الأعلاف من الجبال على ظهورهن بواسطة «العيبة» (سبق شرحها).

ويؤدي سقوط الأمطار بوفرة على المناطق الجبلية إلى وفرة الأعشاب فيكثر الحلال وتتحسن الأحـوال، ويستغـل الـرعـاة وأصحاب الأبقار فرصة الرخاء ونماء العشب فيجمعون ما استطاعوا من الأعشاب ويحفظونها في «السُّفول» جمع «سفل» وهي الأدوار

السفلي من منازلهم، وأحيانًا يحفظونها في الكهوف الجبلية التي سبق وتحدثنا عنها فتجعلهم في مأمن نوعًا ما وقت فترات الجفاف. والبعض منهم، لاسيما أولئك الذي يملكون أعدادًا كبيرة من الماشية فإنهم يتجهون بأغنامهم نحو تهامة للإقامة هناك في أيام الشتاء الباردة.

ولكل قبيلة من قبائل ثقيف حِمى[1] معروف، وكثيراً ما تكون الأحمية مصدر مشكلات بين الرعاة حتى تتدخل ولاة الأمور في حلها، وكحل لمثل هذه الإشكالات صدر تعميم وزارة الداخلية رقم ٢/١/١٠ص/١/٧٣٠ في ١٣٨٩/٤/٢١ للهجرة بوجوب المحافظة على الأراضي غير المزروعة للدولة على أساس أنها أرض بيضاء، وعُمّم هذا التعميم على أمراء ومشائخ القبائل مما ساعد على إنهاء المشكلات المتعلقة بالأحميات.

ومهنة الرعي لم تعد على ما كانت عليه في الماضي حيث اتجه الكثير من أبناء القبيلة إلى الوظائف الحكومية، ولم يبقى سوى قلة لا تذكر تمارس هذه المهنة؛ وتربية الأبقار في المنازل لم يعد لها وجود وقد يكون التغيير الذي طرأ على مظاهر الحياة الاقتصادية مسؤولاً عن ذلك، فسهولة المواصلات ووصول منتجات الألبان واللحوم بسهولة إلى المراكز التجارية المنتشرة في كل قرية، إضافة إلى تعدد الوظائف والحاجة إلى اليد العاملة كل ذلك أدى إلى تقلص هذه المهنة شيئًا فشيئًا حتى لم يعد لها وجود تمامًا.

●●●

(١) الحمى هو الأرض التي لا تُزرع وتعود في ملكيتها للقبيلة بصفة عامة، وتخدم المصالح العامة.

الفصل السادس

الحالة الرياضية

* الألعاب الشعبية
* هواية الصيد



الألعاب الشعبية:

ممارسة الرياضة الجسمية والذهنية من الأمور التي عاشها الإنسان في كل مجتمعات الدنيا ولكنها تختلف من مكان لآخر حسب طبيعة وتقاليد كل مجتمع. ففي الماضي، وقبل العهد السعودي الزاهر، الذي توافرت فيه عوامل الترفيه البريء، مارس الثقفيون في أوقات فراغهم بعض الألعاب بهدف التسلية وملء الفراغ أحيانًا واختبار الذكاء والقدرة العقلية والبدنية أحيانًا أخرى. ولهذا وذاك تنوعت ألعابهم وتحددت أساليبها ومواعيدها وفقًا لعادات وتقاليد المجتمع.

ومن هذه الألعاب التي كانت شائعة ولها عشاقها لعبة «الساري»[1] وكلمة الساري مأخوذة من سريان الليل فعلها الثلاثي سرى أي ذهب ليلاً، والساري كلعبة غالبًا ما يكون زمنها ليلاً خاصة وأن لاعبيها ينزعون ثيابهم بالكامل ولا يبقى عليهم سوى ما يستر عوراتهم، وهذه اللعبة كانت موجودة قبل ربع قرن تقريبًا. لكنها أصبحت أثرًا بعد عين، وهي تشبه في بعض قواعدها كرة القدم الأمريكية. والحد الأدنى للمشاركين فيها أربعة، وينقسم اللاعبون فيها إلى مجموعتين، حيث تقف المجموعة الأولى على جانب من ميدان المبارزة على مسافات متباعدة ويسمون بالحراس

---

(١) السارية بمعنى السحاب يسري ليلاً، والسرى سير عامة الليل. (القاموس المحيط للفيروز آبادي، ص ١٦٩).

ومنطقتهم تسمى باللزم، بينما تقف المجموعة الثانية على مسافة مقابلة للحراس في مكان خاص بهم يسمى «اللحس». وسميت المنطقة الأولى باللزم لأن كل فرد من المجموعة الأولى يحاول أن يمسك بكل من يقترب منه في منطقة حدوده، بينما سميت المنطقة الثانية باللحس لأن المجموعة الثانية يحاول كل فرد فيها أن يصل إلى منطقة اللزم ويلمس بيده أي فرد في المجموعة الأولى ثم ينطلق هاربًا بسرعة فائقة قبل أن يمسك به، ومتى ما وصل إلى الخط المرسوم بين الفريقين ولمست قدماه ذلك فقد نجا وحقق نقطة فوز بانسحاب الشخص الملموس من المجموعة الأولى، أما في حالة القبض عليه من قبل أي من المجموعة الأولى فمعنى ذلك أنه هو الذي يجب أن يُستبعد من فريقه[1].

وهكذا تستمر اللعبة حتى يتغلب فريق على آخر وتتحدد المجموعة الفائزة بالمباراة. وغالبًا ما تكون هذه اللعبة «لعبة الساري» في مكان فسيح ونظيف تحت ضوء القمر. ويستنتج من هذه اللعبة إدراك الناس بضرورة الدفاع عن أماكنهم والمحافظة على الحدود لمناطقهم، وأثر المهارة والنشاط واستخدام الذكاء في تحقيق النصر، كما يستنتج منها أن الناس قديمًا كانوا أيضًا يبحثون عن وسائل رياضية لتقوية عضلاتهم الجسمية لاسيما وأنهم لا يعرفون شيئًا عن الألعاب الحديثة مثل كرة القدم والطائرة وغيرها مما جعلهم يبتكرون لعبة «الساري» وما شابهها كبديل.

ومن الألعاب الرياضية الأخرى التي لها علاقة بتقوية العضلات الجسمية لعبة «المُعافرة» وهي المصارعة بالمعنى الحديث حيث تتم هذه اللعبة بين اثنين من الشباب الأقوياء يحاول كل واحد منهما أن يلقي منافسه على الأرض وعلى مشهد من المتفرجين المشجعين.

والدقشبة والرمحيس من الألعاب التي كانت شائعة قديمًا ولم يعد لها وجود اليوم، والدقشبة ليس لها معنى في قواميس اللغة أما الرمحيس فهي مشتقة من رمح وهو الرفس للفرس والدفع بشدة[2]. وطريقة هذه اللعبة هي أن يقوم اثنان أو أربعة أو ستة بمبارزة

(١) من الألعاب التي كانت شائعة قديمًا عند أهالي مكة المكرمة لعبة «الكَبَتْ» وهي تشبه لعبة الساري.
(٢) القاموس المحيط، ص ٢٨١.

بعضهم البعض باستخدام الأرجل فقط حيث يرمح كل واحد منهم خصمه المقابل له، على أن لا تُوجه الضربة لأي منهم نحو الخصيان أو المناطق القاتلة، وقد تطول هذه المباراة وقد تقصر حسب استعداد كل طرف والفائز طبعًا هو الذي يستمر نشطًا وثابتًا على قدميه، والمنهزم هو الذي يسقط في النهاية منهكًا من التعب، وهذه اللعبة تشبه تمامًا لعبة (التايكواندو) المشهورة في كوريا.

ومن الألعاب التي كانت سائدة وما زالت إلى اليوم هي لعبة «المدريهة»، إلا أنها في الماضي تختلف عنها في الوقت الحاضر في بعض الأمور. فقديمًا كان الناس يستخدمون المدارية جمع «مدريهة» في المناسبات وخاصة مناسبة عيد الأضحى المبارك، حيث تجتمع العوائل عند بعضها البعض ويمارس الأولاد والبنات وبعض الكبار لعبة المدارية، وأثناء ذلك ينشدون بعض الأناشيد التي يتمنون فيها عودة ذويهم الذين ذهبوا لأداء فريضة الحج سالمين غانمين ومثل هذه الأناشيد قولهم:

درهـــي يـا مقـرنـــة واجـلبــي حُجّـاجـنــا

والمقصود بالمقرنة تلك الأعواد التي تشد بها رؤوس الأبقار أثناء الحرث حيث كانوا يربطونها بالحبال ويستخدمونها كقاعدة للجلوس عليها أثناء التدريه.

ومن الرياضة التي كانت شائعة بين الناس ولكنها اختفت في أيامنا هذه ممارسة السباحة في أوقات الصيف، حيث كان الشباب يمارسون هذه الرياضة في الآبار التي لا يستخدمها الأهالي للشرب، وكانوا إذا أرادوا تعليم صغار السِّن ربطوا على ظهورهم قُربًا منفوخة ورموهم في البئر، فيتعلمون وهم في أمان من الغرق، وأثناء السباحة كان الشباب يتنافسون في الغوص إلى أعماق البئر وأخذُ بعض من التراب كدليل على وصول المتسابق إلى القاع.

ومارس الثقفيون السِّباق حيث يقف المتسابقون على خط واحد وتحدد لهم نهاية السباق بعلامة واضحة وينطلقون بعد إعطاء الحكم بينهم إشارة البدء والفائز هو ذلك الشاب الذي يصل إلى خط النهاية قبل زملائه.

ومن الألعاب التي كانت شائعة أيضًا بين الشباب لعبة «الغُمّة»[1] وهي لعبة كان يمارسها الصبية في المناسبات العائلية، وطريقتها أن يُربط على عيون أحدهم بقطعة قماش بحيث لا يستطيع الرؤية ثم يختبىء رفقاؤه في أماكن مختلفة وعليه البحث عنهم وهو مربوط العينين فإذا ما وجد أحدهم وقبض عليه فكّ رباطه وأخذ المقبوض عليه دوره وهكذا.

ولعبة «التُّنبح» كانت موجودة إلى عهد قريب ولكنها تلاشت ولم تعد تُمارس في هذه الأيام، وهي خاصة بالبنات دون الصبية، وطريقتها أن تجلس الفتاتان متقابلتين جلسة القرفصاء على مسافة معينة من بعضهما البعض، ويقفزا كقفز الضفدعة تجاه بعضهما البعض وهما واضعتان أيديهما على ركبتهما ومعتمدتان على رؤوس أصابع أقدامهما، والفائزة منهما هي الفتاة التي تستطيع أن تلمس الأخرى عند الإلتقاء وتعود إلى نقطة البداية وهي على وضعها دون تغيير ودون أن تكون بطنًا قدميها على الأرض مبسوطتين.

ومن أنواع الرياضة التي مارسها الثقفيون وتحتاج إلى مهارة عقلية ويدوية وذكاء وبُعد نظر وتركيز مسابقة «المثل»، وهو وضع علامة ما كهدف في مكان بعيد لممارسة تصويبه بالبنادق، ويتبارى في ذلك رجال القبيلة، خاصة أثناء المناسبات الكبيرة والأعياد. وكان الهدف من هذه الرياضة بث روح الشجاعة في نفوس الشباب، وتعليم النشأة الرماية.

وفي كل قرية من قرى المنطقة أُناس مشهورون بفنون الرماية وإصابة الأهداف من أماكن بعيدة مهما صغر حجم الهدف، ولكل قرية مكان خاص يذهب الناس إليه

---

(١) الغمة في لسان العرب بمعنى اللبس، فيقال انهم لفي غمى من أمرهم إذا كانوا في أمر ملتبس، والغمامة ما تشد به عينا الناقة، ورجل أغم ووجهه غماء أي الشعر الكثيف، قال هدبة بن الخشرم:

فلا تنكحي أن فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

(لسان العرب، ابن منظور، جـ ١٢، ص ٤٤٢، ٤٤٤).

لممارسة هذه الهواية، ويحضرها عدد كبير من الناس، ولكثرة الرماة يتعيّن التنسيق بينهم فيأخذ كل واحد دوره لكي يتمكن الحكام من معرفة الذين أصابوا الهدف، وأحيانًا يكون عند الهدف واحد أو اثنان لوضع الهدف مرة أخرى في مكانه بعد إطاحته ولتحديد أبعاد الإصابات من الهدف.

ورياضة المثل ليس لها وجود في المدن والسبب في ذلك أن سكان المدن لا يقتنون البنادق مثلما هو موجود عند رجال القبائل إضافة إلى مخاطر استخدام هذه الرياضة لكثرة التجمع السكاني في المدينة مقارنة بالقرية. وعلى الرغم من أهمية هذه الرياضة بالنسبة للشباب، إلا أنها في الفترة الأخيرة أُسيء استخدامها ونجم عنها بعض المشكلات التي أضرّت بالمجتمع السكاني مما جعل الدولة تمنع ممارستها تجنبًا لمخاطرها وأضرارها.

ومن الرياضة التي تحتاج إلى مهارة ودقة ملاحظة لعبة «القطرة»[1] وهي رسم خطوط على الرمل مقسمة إلى مربعات صغيرة بحيث تكون الخطوط ثلاثة أو خمسة أو سبعة أو تسعة، فإذا ما كانت ثلاثة سُميّت القطرة «أم ثلاث» وإذا ما كانت خمسة سميت أم خمس وهكذا. ويشترك في هذه اللعبة اثنان فقط يأخذ أحدهما عددًا من الحصى الصغيرة ويأخذ الآخر عددًا مماثل من نوى التمر أو بعر الماعز فيطرح صاحب الحصى حجرًا في أول مربع ثم يطرح المنافس الآخر نواة أو بعرة في المربع الذي يليه وهكذا حتى تمتلىء جميع المربعات ما عدا المربع الواقع في منتصف القطرة فيُترك خاليًا لأنه بداية النزال للطرفين، فيبدأ اللاعب الأول بالنزول إلى الميدان بشرط أن يتخطى حبيبة منافسه وإذا ما تخطّاها إلى المكان الفارغ فهي تعتبر ملغية فتسحب من القطرة وتوضع على جنب، ويبدأ اللاعب الثاني بالبحث عن مكان فارغ بحيث يتخطى حُبيبة منافسة فيحدث لها نفس الشيء، وهكذا حتى يفوز أحدهما وهو الذي يستطيع أن يحتفظ في النهاية بعدد أكثر بعد أن يتمكن من سحب جميع حبوب منافسه.

---

(١) مأخوذة من قطر، والمقاطرة هي تقابل الشيئين أمام بعضهما البعض. (القاموس المحيط، ص ٥٩٦).

وأم تسع يلعبها اثنان ولها طريقة تختلف عن السابقة، وسميت أم تسع لأن كل لاعب لا تزيد أحجاره عن تسع تختلف في شكلها ولونها عن تلك التي مع منافسه، ويُرسم لها ثلاث مربعات على الرمل فيقوم أحد اللاعبين بوضع حجره الأول ثم يعقبه منافسه بوضع حجره محاولاً ألا يترك فرصة لزميله بوضع ثلاثة من أحجاره على شكل مستقيم وإلا اعتبر خاسراً اللعبة، وإذا ما انتهيا من وضع أحجارهما يبدآن الحركة في أي اتجاه مسموح ويتصيدان الفُرص ضد بعضهما البعض لكي يتمكن أحدهما من وضع ثلاثة من أحجاره بشكل مستقيم ليتم له الفوز على زميله.

ولعبة الطيبان رياضة يدوية ذهنية في آن واحد ومارسها الثقفيون في أوقات فراغهم وبالأخص في شهر رمضان من بعد صلاة الظهر. وهي من الأعواد الخشبية المقطوعة من شجر العُثرب أو العثم أو الحماط، حيث يؤخذ عودين لا يتجاوز طولهما عن ٢٠ سم، وتقسم بالطول إلى قطعتين لكل عود فيصبح عددها أربعة لكل منهم ظاهر وباطن. ويشترك في لعبة الطيبان اثنان أو أربعة أو ستة، ويُرسم لها أربعة خطوط على الرمل وتقسم الخطوط إلى مربعات، ويأخذ أحد المنافسين حجارة صغيرة ويضعها في المربعات التي في الخط الذي يليه، ويأخذ زميله حبيبات من نوى التمر أو بعر الماعز ويضعها في المربعات الموالية له، ثم يبدأ اللعب فيرفع المتباري الأعواد الخشبية بيده إلى أعلى ثم يطرحها فتكون نتيجة شكل الأعواد على الأرض الأمر الذي يحدد مسار اللعب وفوز أحدهما على الآخر. فإذا كانت بواطن ثلاثة من الأعواد نحو الأرض دون الرابع فذلك يسمى عندهم بـ «الطاب» وبإمكان اللاعب إخراج حجر من أحجاره إلى أول مربع في الخط الذي يليه، وإذا كانت بطون الأعواد جميعًا نحو الأرض فهذا يعني أن اللاعب يستطيع أن يقدم حجره ستة مربعات، أما إذا كانت ظواهر الأعواد جميعًا أو ثلاثة منها نحو الأرض وبواطنها نحو السماء فيقدم حجره بنفس العدد ثلاثة أو أربعة مربعا، وإذا تساوت الأعواد بواطن اثنين منها نحو الأرض وظواهر اثنين منها نحوالسماء فهذا يسمى عندهم بـ «الدُّك» وهو يعني وجوب انتقال الأعواد إلى الطرف المنافس. وبعد استمرار اللعب لفترة، وبعد خروج الحجارة إلى مربعات الوسط يحدث أن ينتهي العدد للحجر المتقدم إلى مربع فيه حجر آخر للخصم فيقضي عليه ويخرج من

المربعات، ويتحدد الفوز بقضاء أحد اللاعبين على حجارة خصمه ورفعها من ميدان الصراع.

والزقطاء نوع من الألعاب المشهورة في جميع أنحاء الجزيرة العربية ولكنها تختلف في الطريقة من مكان لآخر. وأكثر من يمارس هذه اللعبة في ثقيف النساء وبعض الأولاد، ويستخدمون فيها خمسة أحجار صغيرة الحجم متقاربة الوزن وتوضع في الكف ثم تُرمى على الأرض، ويختار اللاعب الذي رماها إحداها فيرفعها إلى أعلى وأثناء رفعه يقبض على الأحجار المرميّة واحداً واحد بشرط أن لا تتلامس، ثم يستمر في رميها إلى أعلى بعد طرح الحصى مرة ثانية على الأرض فيلتقطها هذه المرة اثنتين اثنتين ثم ثلاث وواحدة، ثم أربع وبعد أن تمر هذه العملية بسلام يطرح الحجار جميعها على الأرض ويضع أصبعين هما السبابة والإبهام بشكل منفرج على الأرض ويطلب من منافسه تحديد أحدهما ليكون «الجدّة» في عرفهم، وغالبًا ما يختار خصمه الحجر الذي يكون موقعه بعيدًا عن فتحة اليد لكي لا يتمكن من إدخاله في سحبة واحدة، وبعد الاختيار يقوم اللاعب برفع أحد الحجارة إلى أعلى وإدخال البقية أثناء ذلك حتى إذا ما بقي الحجر المختار رفع الحجر إلى أعلى وأدخله في سحبة واحدة لأنه إذا لم يتمكن من ذلك فهو الخسران وينتقل الدور لمنافسه.

وأيضًا يلعب الأطفال في المناسبات لعبة «حدارجي مدارجي» وهي وضع أرجلهم ممددة وهم جنبًا إلى جنب ويقوم أحدهم بالتربيب بيده على رجل كل واحد منهم بالتدريج وهو يقول باللغة العامية: «حدارجي مدارجي وحُمحمه وريحان ومن شُعيلة الضّان، ياربّ ذي عن أُخت ذي قلّص بذي يا راعيها»، على أساس أنه عندما يلفظ الكلمة يربت على رجل أحدهم فمن تكون الكلمة الأخيرة والتربيتة عند رجله فإنه يقلّصها كما أشار بقوله «قلّص بها يا راعيها» ثم يستمر حتى لا يبقى إلا رجل واحده يكون صاحبها هو المهزوم وعليه تفرض بعض الأحكام حسب الشروط المتفق عليها قبل اللعب.

ومن الألعاب التي تحتاج ممارستها إلى قوة فراسة وذكاء ومهارة لعبة «ضاع البنجري»، ويتكون لاعبوها من فريقين متساويين في العدد يجلسان أمام بعضهما البعض على مسافة محدودة، ويتفق الفريقان على اختيار خاتم صغير أو أي نوع مميز ممكن وضعه داخل الكف دون تمييز واضح بأنه في داخلها. وتبدأ اللعبة بقيام أحد الفريقين بوضع غطاء على أيديهم ووضع الشيء المختار في يد أحدهم. ثم بعد ذلك يرفعون الغطاء وأيديهم جميعًا مقبوضة مما يجعل الفريق المقابل يواجه صعوبة في معرفة اليد التي فيها ذلك الشيء المتفق عليه. فيتقدم أحد أعضاء الفريق المقابل ويحاول بذكائه أن يعرف اليد التي تحتوي على الشيء المختار، وإذا ما تمكن من ذلك فإن الدور ينتقل إليه ورفاقه ويخسر الفريق الذي كان في حوزته ذلك الشيء ويصدر بعض الأحكام المتفق عليها ضده. أما إذا فشل في معرفتها فإنه وفريقه يخسرون اللعبة ويصدر الحكم بحقهم.

وهكذا رأينا كيف كانت الممارسات الرياضية والألعاب الشعبية في منطقة بلاد ثقيف حيث هجر الناس بعضها ولم يعد لها ذكر بينما بقي البعض ولا يزال. وأخذت المظاهر الرياضية الحديثة طريقها إلى المنطقة مثل كرة القدم والسلة والطائرة، وكان لانتشار التعليم دوره في إيقاظ الحركة الرياضية والهوايات المفيدة حيث ساهمت مدارس المنطقة في بثّ الوعي الرياضي والثقافي والاجتماعي عند المواطنين. والشيء الذي تفتقر إليه المنطقة هو إقامة نادٍ يهتم بالنشاط الرياضي والمسابقات الثقافية وتنظيم المحاضرات والملاعب الرياضية وتشجيع الهوايات والألعاب المختلفة.

هواية الصيد:

والحالة الرياضية لا تقتصر على أنواع الألعاب والتسلية التي يمارسها أبناء المنطقة ولكن يدخل في نطاقها تلك الهوايات الجميلة التي كان لها شأنها العظيم في الماضي والتي مارسها الثقفيون منذ القدم وكان لهم فيها باع طويل. فالصيد على سبيل المثال كان له شأنه ووسائله المختلفة، وهواته كانوا ممن يتقنون الرماية ويستطيعون طلوع الجبال مما يجعلهم دائمًا يعيشون في رياضة بدنية مُمتعة.

وأنواع الصيد الموجودة في المنطقة هي : «الأوبار» مفردها وبَرْ والتي تُشبه الأرانب في الحجم وتعيش في أعالي الجبال بين الصغار، وقال عنها ابن منظور: هي طحلاء اللون لا ذنب لها وهي دويبـة حجـازية[1]، «والأرانب» تكثـر في الـوديان والأراضي المنخفضة، وطيور «الحجل» المعروفة بلذة طعمها، والذي قال فيها الأزهري : سمعت العرب تقول: قالت القطا للحجل: حجل حجل، تَفِرُّ إلى الجبل، من خشية الوجل، فقالت الحجل للقطا: قطا قطا، بيضك ثنتا وبيضي مائتا[2]، وهي القُبَّج ومن طبيعتها شدة الحساسية فبمجرد سماع أي حركة فإنها تطير سريعًا وتختفي في مكان بعيد عن مصدر تلك الحركة. وغير الحجل هناك «الصِّفرد» وهو طائر أعظم من العصفور، وقال العرب في أمثالهم : أجبن من صِفردْ، فيروي ابن الأعرابي أنه طائر جبان يفزع من أي شيء وقال الليث هو أجبن طائر[3].

ومن الطيور الأخرى اللذيذة اللحم «القهيد» ويشبه الحجل في حجمه وشكله و«الحمام البرّي»، و«السودي» وهي طيور سوداء بحجم الحمام.

أمـا طيور الصيد الصغـيرة فهي : «الوجّي»، «الفرافر»، «الوزاوزة»، «سويد حداد»، «أبو عتّرة»[4]، و«الكعته» (البلابل). وهذه الأنواع الصغيرة غالبًا ما تصطاد بوسائل الصيد البسيطة.

واقتنص الصيادون بعض الحيوانات المفترسة كالنمور، والذئاب، والثعالب، والنيص لا لأكلها فهي محرمة ولكن للقضاء عليها، وكانت أماكن النمور معروفة في المنطقة وهي جبل شهدان غرب المنطقة حيث كانت مصدر ازعاج لكثير من الرعاة الى عهد قريب.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، جـ ٥، ص ٢٧٢.
(٢) المصدر السابق جـ ١١، ص ١٤٣.
(٣) المصدر نفسه جـ ٣، ص ٢٥٦.
(٤) سمي بهذا الاسم لصغر حجمه وانتصاب مؤخرته.

أما الذئاب فكانت العدو الأول للرعاة ومُربي الحيوانات الأليفة، وكانت تعيش في رؤوس الجبال الوعرة ولكنها لم تعد كما كانت عليه من الكثرة والتأثير. والثعالب كانت ولا تزال تزعج أصحاب الدواجن ويوجد في المنطقة كثير منها ويسمى الثعلب عند الأهالي بـ «الحصيني» أو «أبو الحصين»[1] أما النيص فهو يشبه الثعلب في الحجم أو أقل منه وعلى ظهره أرماح صغيرة يطلقها ضد أعدائه إذا ما هوجم، وهو عدو المزروعات وخاصة الذرة والقمح حتى قام الأهالي بوضع المصائد الشبكية لإبادته ولكنه على الرغم من ذلك لا يزال موجوداً، وله طرق عجيبة في الإفلات من المصائد.

وكانت الوسائل المستخدمة لصيد الحيوانات البرية والطيور تتفق تمامًا مع القدرات الفنية للزمن الماضي ومن هذه الوسائل: البندق والمحجاة والمِرتمة والنَّبالة واللُّصاق والمصيدة الشبكية.

والبنادق التي استخدمت قديمًا هي القداحي والمفتل وأبو أصبع وأبو أحد عشر وأبو خمس والنيمس، وقد تلاشى استخدامها بعد انتشار الشوزن التي يسميها الأهالي «الشوزر».

والمحجاة عادة ما تستخدم لقنص طير الحجل، وطريقة ذلك أن مُمتهن الصيد يتعود على وضع الحب في مكان خاص في أعلى الجبل، ويتركه ليأتي طير الحجل فيلتقطه، فيكرر هذه العملية أكثر من مرة حتى يتعود الحجل الوصول إلى ذلك المكان كل صباح، ثم إن الصياد يختار مكانًا يجلس فيه على مسافة ليست ببعيدة عن مكان الحجل ويضع بعض الأخشاب وأغصان الأشجار اليابسة كغطاء على مكان جلوسه ويأتي إلى ذلك المكان مبكرًا قبل وصول الحجل، فإذا ما وصل أطلق عليه بندقيته من نوع الشوزن فيحصل على صيد وفير.

---

(١) بمناسبة ذكر هذا الحيوان، لم يكن الثقفيون يخافون خطره مقارنة بغيره من الحيوانات المفترسة كالذئب أو النمر مثلاً، وفي ذلك قال أحدهم عندما اشتبه في رؤيته ليلاً باللغة العامية:

إن كنت أبو الحصين ... فأنا أحمد بن حسين

وإن كنت الذئب فأشهد ... أن لا إله إلا الله

والمرتمة هي عبارة عن صفيحة من الحجر يستخدمها صغار السن لصيد الطيور الصغيرة حيث يحفر حفرة صغيرة ويوضع فيها قطعة من التين الشوكي المقشّر ثم تُرفع الصفيحة على أعواد بطريقة فنيّة حتى إذا ما أتى الطائر ليأكل من التين ولامس أي من الأعواد سقطت الصحيفة عليه، وأمسكت به.

والنّبالة هي عود من الخشب يستخدمه الصغار أيضًا وهي على شكل رقم (٧) من أعـواد العُتم (الزيتون الجبلي) لصلابته، يربط طرفاه من أعلى بحبلين مطاطيين ينتهيان برقعة صغيرة من الجلد، وتوضع الحصاة الصغيرة في هذه الرقعة ثم إذا أراد التصويب للهدف تُشدّ الحبال المطاطية بمهارة دقيقة من أجل التصويب ثم تطلق، وعلى الرغم من وجودها إلى اليوم إلا أن استخدامها لقنص الطيور ليس له أثر لاسيما بعد انتشار البنادق الهوائية التي تسمى بالسّاكتون.

ولصيد الـطيور الصغـيرة استخـدم الأولاد مادة اللصاق المستخرجة من ثمرة أغصان اللصاق التي تنمو بقدرة الله تعالى على فروع بعض الأشجار الكبيرة، وكيفية ذلك أنهم يجمعون حبوب اللصاق بعد نضجها ويستخرجون منها مادة لزجة توضع في علب خاصـة، وإذا أرادوا استخـدامهـا يؤخذ منه قليل ويُلف على أعواد الحشائش الصغيرة وتوضع إما حول الحفر الصخرية المملوءة بالماء أو حول قطعة من التين الشوكي المقشر، فإذا ما أتت الطيور لأكل التين أو لشرب الماء لزقت الأعواد في أجنحتها فلا تستطيع الطيران فيُقبض عليها.

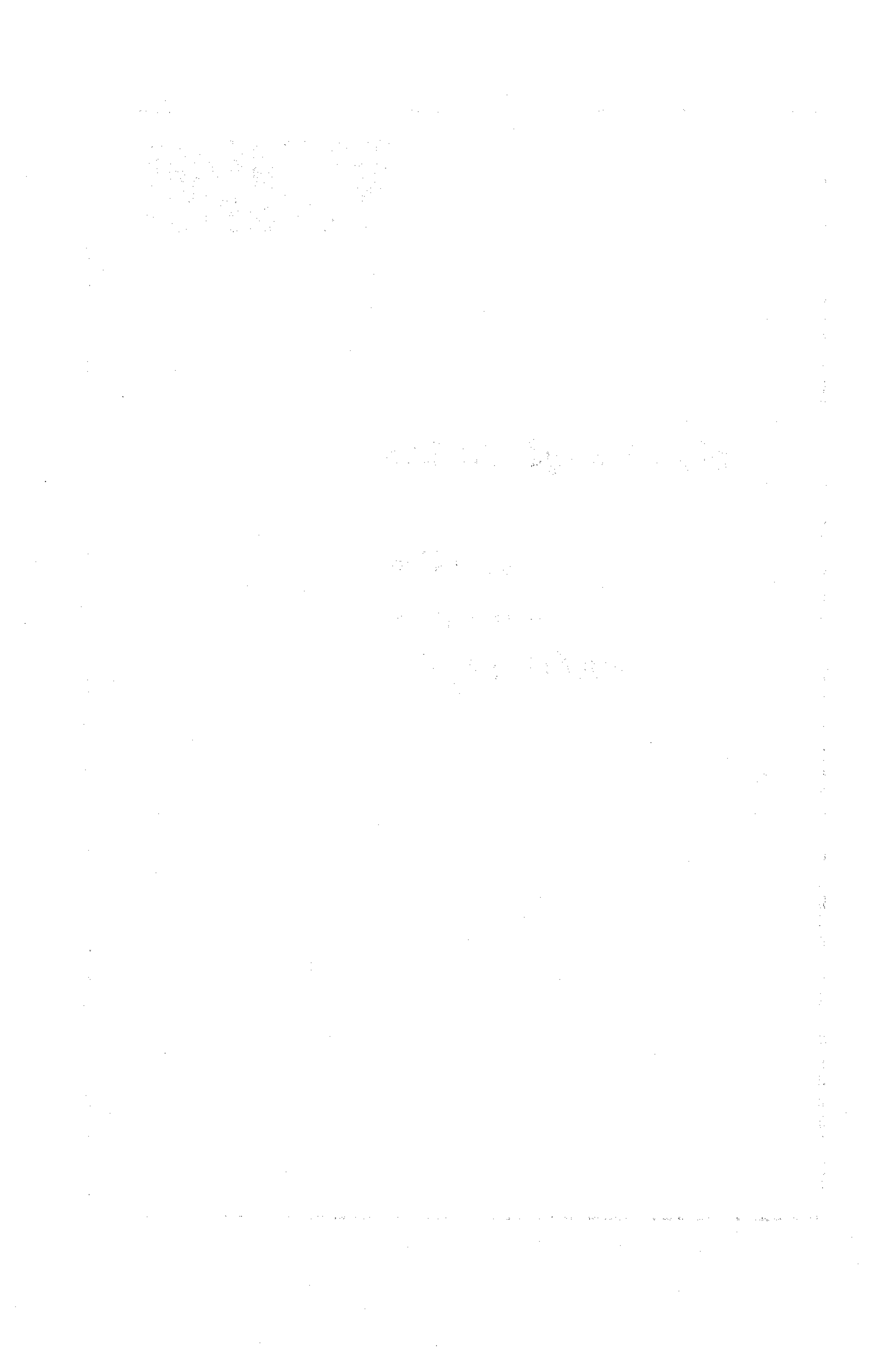
أما المصيدة الشبكية فكان الصيادون يضعونها لبعض الحيوانات المؤذية كالثعلب أو النيص، وهي عبـارة عن حفـرة مغـطاة بالحشائش التي تخفي معالمها وأثناء مرور الحيوان عليها يسقط ولا يستطيع الظهور منها لطولها.

وفي أيامنـا هذه اختفت ظاهـرة الصيد، وقلت الطيور والحيوانات التي اعتاد النـاس على قنصهـا، إضافة إلى أن الدولة أصدرت في عام ١٣٨٧هـ قرارًا حددت بموجبه مناطق الصيد في المملكة بالمكان والزمان رغبة منها في الحفاظ على ثروات البيئة من الحيوانات والطيور وبقاء النسل.

الفصل السابع

حالة التطور والعمران

* المنازل
* المواصلات
* المرافق الحكومية



إذا ما تحدثنا عن العمران في بلاد ثقيف فإنه من الضروري أن تتعلق الموضوعات المطروحة للدراسة بالمنازل والمواصلات والمرافق الحكومية كيف كانت؟ وماذا أصبحت عليه؟

المنــازل:

وإذا ما بدأنـا بالمنـازل فهنـاك ترابط وثيق بين البيئـة الـطبيعية ومـواد البنـاء المستخـدمـة، ولأن منـطقـة ثقيف جبلية فقـد بنى أهلهـا مساكنهم من الحجر وفقًا لتشكيلات هندسية بارعة قام بها مختص سُمي بـ «المعلم»، وكان هذا المختص يستغرق وقتًا طويلاً لبناء منزل ما وذلك لصعوبة تهيئة الحجر المناسب للمكان المناسب وصعوبة وضعه بطريقة تتلاءم مع بقية الأحجار الأخرى، إضافة إلى المعاناة من رفعه إلى أعلى جدار المنزل، لاسيما إذا كان المنزل يتكون من دورين أو ثلاثة.

وكسى الثقفيون جدران المنزل من الداخل بالطين الأحمر بعد حرقه، وتهيئته وهو ما يسمى بـ «الخُلبه»، أما جدران المنزل من الخارج فتبقى كما هي دون كساء ما عدا وضع بعض الأحجار الصغيرة جدًّا في الأماكن الخالية بين الأحجار الكبيرة.

أمـا السقف فله وضعه الخاص في التصميم حيث يقوم المعلم بوضع خشب العرعر من ذوات الأحجام المتوسطة في السمك بعد تنظيفه، على مسافات لا تتجاوز

نصف متر ثم يضع فوقها بطريقة عكسية متراصة أعواد العرعر الصغيرة المسماة بـ «الشّمط» وفوقها «اللّحاء» وهو قشور الخشب، ومن فوقها جميعًا التراب بعد خلطه بالماء وبعض التّبن ليساعد على منع تسرب مياه الأمطار بعد جفافه، وهذه العملية أسموها بـ «الخوضة».

والسقف يجب أن يكون له ميلان يساعد على انسياب المياه عبر الميزاب المعمول من الخشب المحفور، ولـه أيضًا «السقف» امتداد خارجي فوق الجدران إلى مسافة نصف متر تقريبًا لحماية النوافذ من الأمطار، وهو ما يسمى بالطّنف[1].

وجرت العادة أن يقوم أبناء القرية بمعاونة صاحب المنزل فتجدهم يحملون الماء من البئر ويخلطون التراب ويقومون بتسويته ونشره على المنزل بطريقة جيدة، وإذا كان صاحب المنزل من ميسوري الحال فإنه يذبح خروفًا أو خروفين كوجبة غداء للمتعاونين معه.

ويتمشى تخطيط المنزل من الداخل مع رغبات السكان وأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. وأغلب المنازل تتكون من دورين يكون الدور الأسفل[2] خاصًّا بإيواء الماشية من بقر وغنم وأحيانًا جمال وذلك أثناء الليل، أما خلال النهار فهناك مكان خاص بالماشية قريب من المنزل يدعى بـ «الحوطة». أما الدور الأعلى ففيه المقبس (المطبخ) والداخلة (مخزن المواد الغذائية)، والباسط (مكان استقبال الضيوف) ومكان الرحى، وغرفتين أخريين أو ثلاث حسب حجم العائلة.

والمقبس هو مكان تهيئة الطعام، ويقع في وسطه الحوية تلك الحفرة التي لا تزيد مساحتها عن نصف متر مربع والتي تستخدم لإشعال الحطب وتسوية الخبز على

---

(١) الطنف في القاموس المحيط هو الحيد من الجبل وما نتأ منه أو افريز الحائط وما أشرف خارجًا عن البناء. «القاموس المحيط، ص ١٠٧٧.

(٢) اسمه في العرف «السُّفل» لكونه أسفل المنزل.

المجارف، وتسوية القهوة والشاي أيضًا. والبعض يسمون الحوية «المِثبا» (بكسر الميم) وكثيراً ما يحتفظ المثبا أو الحوية ببقاء النار مشتعلة تحت الرماد لفترة طويلة، وفي وسط السقف المقابل للحوية يوجد فتحة صغيرة لإخراج الدخان من خلالها تسمى بـ «القُترة».

وغرفة الداخلة هي مخزن العائلة لحفظ المواد الغذائية المعروفة قديمًا من سمن وعسل وحبوب وبعض الفواكه المجففة كالزبيب.
والحبوب كانت تحفظ في أوعية خاصة تسمى بـ «القِفَاعْ» مفردها «قَفْعَة» أو الدُّبا مفردها المؤنث «دُبية» أما السمن والعسل فأوعيته جلدية تسمى «العِكَاكْ» مفردها المؤنث «عُكَّة».

والباسط هو المكان المعد لاستقبال الضيوف وهو أوسع الغرف، وقد زُيّنت جوانبه بالنقوش والكتابات والألوان، وفيه بُنيت» الرّدعة» وهي عبارة عن دكّة تبنى على ارتفاع نصف متر تقريبًا وامتداد المتر على طول الحيطان الأربعة ويقوم مقامها حديثًا الباطرمة أو الكنب. ويقع في وسط الباسط عمودٌ من الخشب يسمى بالزّافر، وفيه أسلحة صاحب المنزل على مرأىً من الزائر والضيف، حيث جرت العادة أن اقتناء السلاح من مُتمّمات الرجولة وأن من لا سلاح له لا خير فيه، وقد استمرت هذه العادة المتوارثة في اقتناء السلاح حتى يومنا هذا. إلا أن الطريقة في اقتنائه اختلفت عن الماضي، فبينما كان الناس يقتنون السلاح دون ترخيص وبلا حدود، فقد أصبحت الطريقة أكثر تنظيمًا ودقة حيث قامت الدولة ـ مشكورة ـ بإتاحة الفرصة لمن يريد اقتناء السلاح ولكن بالطرق النظامية والتراخيص اللازمة من أجل استتباب الأمن والمحافظة على أرواح الناس.

أما مكان الرحى فغالبًا ما يكون قريبًا من الداخلة، وأحسن وصف للرحى ما أورده الخويطر في كتابه أي بني حيث قال: «الرّحى حجر مدور ثقيل قُطره في حدود ٥٠ سم مخروق من وسطه، تحته مثله، يوضعان طبق على طبق يسمى الواحد طبقة الرحى،

وفي الأعلى عند الحافة تجويف يُركز فيه عود يُستعمل يدًا لتحريك الرحى ويسقط الحب إلى «التبرقة» وهي خشبة معترضة في الفتحة التي وسط الأعلى، يسقط منها الحب فينزاح بين الطبقين ويَنطَحِن من جراء الحركة الدائرة بين الطبقين، الأعلى والأسفل. . . »[1].

ونـظرًا لانشغال المرأة بالمنزل والأولاد والماشية خلال النهار فقد اختارت الليل موعدًا لطحن الحبوب بالرحى، لاسيما بعد نوم الأطفال، إلا في حالات الضرورة. وأثناء قيامها بالعمل كثيرًا ما تُرددِ بعض الغناء من أجل قتل الوقت وتنفيس التعب والإرهاق.

وكان الأثاث المنزلي في غاية البساطة تبعًا لمقتضيات حياة العصر، وكان فرشهم من الشمال جمع (شمله) والبُسط جمع (بُساط) والجُعّد جمع (جاعد) وهو مصنوع من جلد الخروف كما تقدم، وبعض السُّجاد. ومن أنواع الأثاث استخدم الناس في منازلهم المِنفـاخ لإشعـال الحطب، والهَوْنَد لِدَقِّ اللبُنْ، والقربة لحفظ الماء، والمجرفة لصنع الخبز، والطشت للغسيل، والمحوقة[2] للكنيس، والشّكوة لصنع اللبن والزبدة، واللّنبة والفـانـوس ثم الإتـريك فيما بعد للإضاءة، وغير ذلك من الأدوات المتعلقة بالشاي والقهوة وبعض الأمور الخاصة بالطبخ.

والنوافذ والأبواب صُنعت من الخشب القوي، والنافذة في المنزل صُممت على مقاسات صغيرة لا تتجاوز فتحاتها عن ٣٠ سم × ٣٠ سم، وقد يكون ذلك بسبب الخوف لكي لا يتمكن أحد من الدخول منها أو بسبب المناخ البارد فكلما صغرت كلما قلّ تسرّب الهواء البارد إلى المنزل. وأقفال الأبواب خشبية ويسمى القفل بـ «الضّبة» وله مفتاح من الخشب به أعواد بارزة تدخل خلال ثقوب معمولة بوزن ومقاس في داخل الضبّة مساوية لعدد الأعواد البارزة في المفتاح ومقاساتها.

---

(١) د. عبدالعزيز الخويطر، أي بني، ص ٩٥/٩٦.
(٢) هي أغصان بعض الأشجار الكثيفة الورق تُربط معًا وتستخدم لكنس غرف المنازل.

هذا ما كان عليه وضع المنزل قديمًا قبل العهد السعودي ولكن تغيرت الأوضاع بتغير الظروف الاقتصادية والتطور الذي شهدته المملكة العربية السعودية، ودخلت المنطقة كغيرها من مناطق المملكة ميدان البناء والتعمير، فاقترض المواطنون من بنك التنمية العقاري فأسسوا مبانٍ حديثة ومن لم يقترض قام بنفس الدور، وحلّت بذلك المساكن المسلحة ذات الطوابق المتعددة كبديل للمنازل القديمة المبنية من الحجر، وتعددت الغرف والصوالين الواسعة، والحمامات والمطابخ الحديثة، واستخدمت الأجهزة والآلات الكهربائية، فالطاحون محل الرحاة والمكنسة الكهربائية بدل المحوقة والثلاجة والترمس بدل القربة والفرن بدل الحوية والمجرفة، والكهرباء بدل اللنبة والفانوس والإتريك، والغاز بدل المنفاخ، والغسالة بدل الطّشت والمُوكيت بدل الجُعَّد والشِّمال، وغير ذلك من المواد والأدوات المنزلية الحديثة.

المواصلات:

والمواصلات في بلاد ثقيف مرت بتطورات تدريجية ملموسة خلال فترة لا تتجاوز نصف قرن، فقبل ذلك كانت وسائل النقل تعتمد على الجمال والحمير، وكان أكثر البيوت لا يخلو من وجود هذين النوعين من الحيوانات لأهميتها في نقل المنتجات الزراعية من مكان لآخر والسفر إلى المناطق والمدن المجاورة حتى أن النوع الجيد من الجمال أو الحمير يصل إلى أثمان باهظة جدًا.

وغالبًا ما استخدمت الحمير للتنقل المحلي بين القرى أو من القرية إلى الأسواق القريبة، أما الجمال المعروفة بتحملها للمشاق فاستخدمت للمسافات الطويلة كالسفر إلى الطائف أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة.

وجرت العادة أن من لا يملك واحدة من هاتين الوسيلتين يقوم بالاستئجار من أناس معروفين بهذه المهنة مما يسهل مشاق الكثير من الناس.

ثم إن المواصلات دخلت كغيرها من المظاهر في دور التغيير والتطور في ظل الحكومة الرشيدة، فبدأ تمهيد الطرق وتعبيدها يأخذ طريقة إلى المنطقة أسوة بغيرها من

مناطق المملكة. إلا أن الأمر لم يكن بالسرعة والسهولة المتوقعة نظرًا لوعورة المنطقة، ولظروف الدولة الاقتصادية في الفترة الأولى من عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إضافة إلى أن السيارة لم تكن أساسًا معروفة في المملكة قبل عهد الملك عبدالعزيز حيث إنه ـ رحمه الله ـ أول من أدخلها وشجع على اقتنائها، فأقبل الناس بعد ذلك على استعمالها لنقل الحجاج والمسافرين والمواد التجارية والزراعية من مكان لآخر[1].

فقبل عام ١٣٧٠هـ كانت المحطة النهائية للسيارات قرية «الصور» في بني الحارث، ومن هناك استخدم الثقفيون الجمال والحمير والسير على الأقدام كوسائل بديلة للسيارة، ثم أخذت الأمور في التحسن تدريجيًا بعدما أخذ السكان على عاتقهم فتح طرقهم بأيديهم مرحلة بعد أخرى حتى وصلت إلى قرية «داما» وهي أيضًا من قرى بني الحارث ولكنها على حدود المنطقة مما خفّفت من المتاعب ومخاطر السفر، بعد ذلك تمكنوا من إيصال الخط إلى قرية قها عن طريق المناطق الجبلية وإلى قرية ترعة عن طريق المنخفضات وهاتان القريتان من أهم وأكبر قرى المنطقة، وكانت الدولة آنذاك تدعم المواطنين بتبرعات مالية مقابل تحملهم مشاق فتح الطرق.

وكم كان المنظر عجيبًا عندما وصلت أول سيارة إلى المنطقة حيث اندفع الأهالي من كل حدب وصوب يشاهدون هذه الآلة العجيبة التي بإمكان قائدها توجيهها حسب ما يريد صعودًا ونزولاً وانحناءة[2]، وكان السائق يحظى في تلك الفترة بمنزلة اجتماعية كبيرة ولا يُرفض له طلب، ويعد من الشخصيات البارزة، لاسيما وأنه هو الوحيد الذي بإمكانه إدارة هذه الآلة.

ولقلة السيارات في البداية فقد كانت رحلاتها أسبوعية يحدد صاحبها اليوم والمكان فيتقاطر الناس الذين يريدون الذهاب إلى الطائف في الموعد نفسه، ومن يتأخر

---

(١) عبدالمنعم الفلاحي، الملك الراشد، ص ٢٤٩.

(٢) أورد فهد المارك قصة رجل في أحد المناطق رأى سيارة لأول مرة فاعتبرها شيطان، وذهل عندما سمع رفاقه من داخل الآلة الشيطانية ـ كما يتصور ـ ينادونه باسمه فاعتقد أنهم شياطين تلبسوا أجساد رفاقه ليخدعوه عن نفسه فكان يتعوذ من الشيطان ويتلو الآيات القرآنية.
فهد المارك من شيم الملك عبدالعزيز، الجزء ٣ ص ٢٦٢/٢٦٣.

قد لا يجد سيارة أخرى حتى الأسبوع الثاني، والسيارات المستخدمة آنذاك كانت من السيارات الكبيرة المرتفعة وهي ما يسميها الأهالي بـ «اللّواري» مفردها لوري.

ولكون المواصلات على هذه الحالة من طرق غير معبدة وصالحة للسير في المنطقة وجميع مناطق المملكة، فقد أولى الملك عبدالعزيز - رحمه الله - بالغ اهتمامه لأمر الطرق والعناية بها لما في ذلك من حسن الأثر على استتباب الأمن واستقرار وتنشيط حركة التجارة وازدهار العمران، فأمر - رحمه الله - بتأسيس مصلحة اسمها «مصلحة الطرق والمخابرات اللاسلكية» وجعلها تابعة لوزارة المالية ومهمتها العمل على تذليل مصاعب التنقلات بشق الطرق وتعبيدها وإدخال وسائل النقل والمواصلات الحديثة، وربط المملكة ببعضها البعض.

وبعد أن اتسعت أعمال هذه المصلحة وتشعبت فروعها[1] أمر - رحمه الله - بتشكيل وزارة المواصلات وكان أول من تولاها سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز ثم سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وأخذت هذه الوزارة في عهده وعهد أبنائه البررة توالي نشاطها في العمل وإنجاز المشروعات على وجه السرعة في مختلف أنحاء المملكة، وحظيت بلاد ثقيف كغيرها من مناطق المملكة باهتمام الدولة في مجال المواصلات، وتم ربطها بالخط المعبد الطائف - الباحة الذي يبلغ طوله ٢١٣ كم، حيث يتجه الخط الخاص بثقيف من مفترق قرية صيّادة الواقعة على خط الطائف - الباحة، وينتهي بقرية قها بمسافة قدرها ٢٠ كم، أيضًا يجري الآن تنفيذ تعبيد الطريق من قرية قها بثقيف إلى قرية ميسان ببني الحارث مما سيساعد على اختصار الوقت للمسافرين إلى الطائف، وتهيئة الفرصة للمصطافين والزوار لرؤية المناظر الجبلية الخلابة أثناء مرورهم عبر جبال المنطقة، كما يجري تمهيد بعض الوصلات الداخلية لربط القرى ببعضها البعض، وهناك قرى لا تزال بحاجة ماسة إلى تمهيد طرقها وتعبيدها مثل قرية موبل وقرية اللهام والشرمان والأماكن السياحية في شهدان وحثواء.

---

(١) عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد، ص ٢٤٨.

تلك هي قصة المواصلات في ثقيف، قصة تحكي الماضي بشقائه وظروفه الصعبة والحاضر بنعمه وظروفه الميسرة، فبينما كان الناس في الماضي يستخدمون الجمال والحمير كوسائل نقل أصبحت السيارة بديلاً عنها مما أدى إلى قلة استخدامها، والحمير بالأخص فقدت أهميتها وكادت تنعدم الحاجة إليها، وبينما كان الناس يعانون من عدم توافر السيارة في الوقت الذي يرغبون، أصبحت كل أسرة تمتلك سيارة أو سيارتين وحتى ثلاث وأربع يسافرون متى شاؤوا، وبينما كانت أنواع السيارات لا تتعدى الونيت أو السيارة المعروفة باسم «اللوري» أصبحت اليوم متعددة الأنواع مختلفة الأحجام، وبينما كان الناس يسيرون بسياراتهم يومًا وليلة من ثقيف إلى الطائف بسبب وعورة الطريق أصبحت المسافة لا يجاوز قطعها أكثر من ساعتين بالسرعة المعقولة.

المرافق الحكومية:

ومعرفة الحالة العمرانية في ثقيف لا تقتصر على دراسة المنازل والمواصلات فحسب بل يدخل في نطاقها ضرورة معرفة بعض الشيء عن المرافق الحكومية لنتعرف من خلال ذلك على الدور الذي يقدمه كل مرفق في خدمة الوطن والمواطن.

فقبل عام ١٣٨٥هـ، لم يكن في ثقيف أي مرفق حكومي وعاشت المنطقة فترة من الزمن في حالة تأخر وانعزال، والناس كانوا قلة، والمواصلات صعبة، وكانت حياة الأهالي في أغلب شؤونهم تسير على المنهج العرفي. ولكن أراد الله تعالى أن تشمل التنظيمات الإدارية الجديدة التي أخذت تشق طريقها إلى كل مكان في عهد الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بلاد ثقيف كجزء من المملكة العربية السعودية، فتعددت المرافق والدور الحكومية مسايرة للنهضة الحضارية التي خطتها الدولة حيث تأسست في المنطقة: الإمارة، المحكمة، هيئة الأمر بالمعروف والشرطة، الإطفاء، البريد واللاسلكي، والكهرباء، إضافة إلى المراكز الصحية والمنشآت التعليمية التي سبق وأن تحدثنا عنها.

كانت ثقيف قبل عام ١٣٨٥هـ تابعة لإمارة ميسان التابعة لإمارة الطائف، وإذا حدث ما يستوجب الرجوع إلى الإمارة تقوم إمارة ميسان بإرسال مندوبها الذي يسمونه

طرق السيارات خلال الجبال.



المتنزهات الطبيعية في بلاد ثقيف وخدمات المواصلات.

بـ «الخوي» إلى المنطقة للتحقيق في ما حدث بمساعدة شيوخ القبائل. وبعد أن تغيرت الأوضاع وكثر السكان وشعر المسؤولون في حكومتنا الرشيدة بجدوى تأسيس المرافق الحكومية بالمنطقة أصدر سعادة أمير الطائف آنذاك الشيخ عبدالعزيز بن فهد بن معمر أمره في عام ١٣٨٥هـ بتأسيس مركزٍ للإمارة في ثقيف ومنذ ذلك التاريخ والمركز يعني بالشئون الإدارية والأمنية ورعاية المصالح الخاصة والعامة، وله مشاركة فعالة في فض المنازعات بين المواطنين، وتعاون مستمر مع الأجهزة الحكومية الأخرى بهدف تطوير المنطقة في مختلف جوانب الحياة، والعمل على استقرار الأمن وراحة المواطن، والوقوف في وجه كل من تسول له نفسه بالمساس بأمن المنطقة التي تعيش تحت مظلة الأمن الشامل الذي تعيشه المملكة في مختلف مناطقها.

وبعد أن كان مبنى الإمارة مستأجرًا قامت الدولة - مشكورة - بتأسيس مقر الإمارة الجديد بقرية ترعة على أحدث التصاميم التي تتناسب مع احتياج الإمارة من مكاتب وغرف استقبال ومستودع وما شابه ذلك، ويبلغ عدد موظفي الإمارة حاليًّا سبعة عشر موظفًا يقابلون ما يزيد على مائة مراجع يوميًّا[١].

وفي عام ١٣٩٤هـ تأسست محكمة ثقيف بعد أن كان الأهالي في السابق يذهبون إلى محكمة ميسان ببني الحارث في كل ما يتعلق بأمورهم الشرعية، وكان لتأسيسها في المنطقة أثر واضح في تيسير أمور الناس وقضاء حوائجهم، وبدأت المحكمة تمارس مسؤولياتها في الفصل في الدعاوى بين المتنازعين، ومنح حجج الاستحكام، والوكالات ومبايعة العقارات والرهون والكفالات والوصايا وغير ذلك من الأمور الشرعية. كما اهتمت المحكمة أيضًا بإتاحة الفرصة للإصلاح بين الناس قبل صدور الأحكام الشرعية عليهم، واستعانت في ذلك بمشائخ القبائل وعقلاء الرجال محاولة منها في لم الشمل بين الأهالي والقضاء على أسباب الفتنة بالطرق السلمية، ويرأس المحكمة حاليًّا فضيلة الشيخ أحمد الأزوري.

وفي عام ١٣٧٣هـ تأسس مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل الدعوة إلى الله وإرشاد الناس وتوجيههم إلى ما فيه الخير لدينهم ودنياهم. وتحملت الهيئة

---

(١) هذه المعلومات مأخوذة عن أمير المنطقة الأستاذ فارس عبدالرحمن الفارسي ووكيله الأستاذ فهد الجعيد.

منـذ تأسيسها القيام بمناهضة البدع والمنكرات والحث على الصلاة في أوقاتها وتوعية الناس بأمور دينهم.

ويقـوم مركـز الهيئـة بالاشتراك مع الشرطة في تنفيذ الأحكام التي تصدر عن المحكمة ا لشرعية، ولوجود ما لا يقل عن ثلاثين مسجدًا بالمنطقة منها ثمانية تقام فيها صلاة الجمعـة[1]، فإن الهيئـة تخصص زيارات أسبوعية لكل مسجد تقام فيه صلاة الجمعة بقصد الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أيضًا تشارك الهيئة مع الدوائر الرسمية ذات العلاقة في تحديد القبلة للمساجد الجديدة التي تنشأ بواسطة الأهالي والمحسنون[2].

وفي عام ١٤٠٣هـ تم تأسيس مركز الشرطة التابع لمديرية شرطة الطائف بهدف استتبـاب الأمن وحفظ النـظام والقبض على الجناة والمفسدين والمحافظة على سلامة الوطن والمواطن ومقاومة العابثين والخارجين على ناموس الشريعة الإسلامية والمعكّرين لصفو الراحة والأمان.
وأضيف إلى أعمالهم بعض الشئون المرورية لعدم وجود قسم خاص بالمرور في المنطقة. والقائمون بالعمل في هذا المركز والبالغ عددهم سبعة عشر فردًا من أبناء المملكة الذين تزودوا بالخبرة والتدريب في مجال الأعمال العسكرية ذات العلاقة بشئون الأمن[3].

وتم تأسيس مركز الدفاع المدني بترعة ثقيف في عام ١٤٠٩هـ للهجرة، والمزود بأحدث الآلات والأجهزة والسيارات اللازمة، ويقوم بالعمل فيه ضباط وجنود يبلغ

---

(١) المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة هي: مسجد قها، وقد تم تجديد عمارته بتصميم هندسي بارع بمتابعة الأستاذ عقاب أحمد الثقفي، مدير متوسطة ابن تيمية بجدة جزاه الله خيرًا وبدعم الأهالي وأهل الخـير. وهنـاك مسجـد الـدارين وتم تجديده بواسطة الأهالي وأهل الخير، ومساجد اللهام، والجبيل والحوسان والمجاردة، والفرعين، وصرار.

(٢) المعلومات الخاصة بمركز هيئة الأمر بالمعروف مرجعها فضيلة الشيخ حسن بن علي بن رابع الثقفي رئيس المركز.

(٣) مصدر هذه المعلومات مركز شرطة ثقيف بواسطة مدير المركز النقيب مساعد محمد الجازي.

عددهم ستة عشر فردًا من أبناء المملكة العربية السعودية الذين تلقوا تدريبات ممتازة في طبيعة هذا العمل الإنساني العظيم[1].

والخدمات البريدية في ثقيف بدأت منذ عام ١٣٩٥هـ وشملت خدماتها المرافق الحكومية والأهالي، وتم تخصيص موزعين في المناطق ذات الكثافة السكانية والدوائر الحكومية، ومهمتهم توصيل الرسائل والطرود البريدية من وإلى موقع البريد في ترعة والذي بدوره يقوم بالإيصال والاستقبال من المركز الرئيس بمدينة الطائف بواسطة متعهد من قبل وزارة البرق والبريد والهاتف.

وتأسس في عام ١٣٩٨هـ للهجرة إدارة لاسلكي ثقيف والبالغ عدد موظفيه خمسة ويراجعه ما لا يقل عن ثلاثين مراجعًا يوميًا، وخدمته تشمل المواطنين والمرافق الحكومية في مختلف قرى المنطقة[2].

أما فيما يتعلق بالكهرباء، فقديمًا كان الناس يعتمدون في الإضاءة على المصباح (القازة) والفانوس ثم الإتريك واستخدم الناس لذلك مادة القاز، ثم قامت شركات كهرباء محلية في كل من قريتي قها وترعة، إلا أن القدر لم يمهل شركة قها بالاستمرار حيث شبّ حريق في مكائن الشركة أدى إلى تعطيلها. ثم قام المواطن الشيخ أحمد بن محسن الثقفي بتبنّي مشروع أهلي في ترعة وذلك عام ١٣٩٣هـ، ودعا الأهالي للتعاون معه وتدعيم المشروع فوجد تجاوبًا مشكورًا، وبتضافر الجهود قُبل المشروع وصدر المرسوم الملكي الكريم بالترخيص نهاية عام ١٣٩٧هـ بتأسيس: شركة كهرباء ترعة ثقيف شركة مساهمة سعودية بامتياز ثلاثين عامًا وبرأسمال قدره مليون ريال. وفي بداية عام ١٣٩٨هـ صدر الأمر الكريم بالموافقة على التعرفة الكهربائية حيث أصبح سعر الكيلو بسبع هللات واستمر التيار ليل نهار. ولم يمض إلا فترة وجيزة حتى حظيت الشركة بلفتة كريمة ومكرمة عظيمة من لدن حكومتنا الرشيدة ممثلة في وزارة الصناعة والكهرباء حيث وافقت على إنشاء مشروع متكامل مكون من محطة توليد مشتملة على

---

(١) مصدر هذه المعلومات مركز الدفاع المدني ببلاد ثقيف بواسطة الرقيب علي إدريس حسين مفرح.

(٢) مصدر هذه المعلومات المكرم مشعل بن عبدالرحمن فالح الثقفي الموظف بإدارة لاسلكي ثقيف.

أربع مولدات قوة كل واحد منها ١٥٠٠ كيلو فلت أمبير بجميع التجهيزات الفنية من غرف التحكم والمبردات وخزانات الوقود وصالة المكائن ومكاتب المهندسين ومبنى إدارة ومستودعات ونحوها، كما اشتمل المشروع على شبكات ضغط عالي بطول ١٥٠ كم وضغط منخفض بنحو ٢٠٠ كم توزع على أكثر من سبعين قرية كبيرة وصغيرة في بلاد ثقيف وجزء من قرى بني الحارث وبني مالك، وتقدر تكاليف هذه التوسعة بما يقرب من أربعين مليون ريال بما في ذلك العُدد والأدوات والسيارات والمواد اللازمة.

وفي أوائل عام ١٤٠١هـ صدر المرسوم الملكي الكريم بتأسيس «الشركة السعودية الموحدة للكهرباء» في المنطقة الغربية وتم دمج جميع الشركات الكهربائية سواء كانت شركات أهلية مرخص لها أو جمعيات تعاونية تحت إشراف المؤسسة العامة للكهرباء وذلك اعتبارًا من ١/١/١٤٠٢هـ، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت شركة كهرباء ترعة ثقيف (سابقًا) فرعًا من فروع كهرباء الغربية.

ويوجد في الشركة الآن إدارة تشرف على أعمالها الفنية والإدارية ويعمل فيها ٦٦ موظفًا مابين إداري وفني أربعة وأربعون منهم من السعوديين واثنان وعشرون من المتعاقدين[١].

والمرافق الحكومية السالفة الذكر بلاشك تؤدي دورها الإيجابي في خدمة الوطن والمواطن لأنها وفرت الجهد والزمن وساعدت على حل مشكلاتهم وحمايتهم وأمنهم، إلا أن المنطقة يبدو أنها لا تزال في حاجة ماسة إلى تطوير بعض المرافق وإنشاء مرافق جديدة ذات أهمية بالنسبة للخدمات الاجتماعية، لاسيما وأن الدولة الرشيدة تسعى جاهدة إلى تحقيق كل ما من شأنه إسعاد المواطنين في كل أنحاء البلاد.

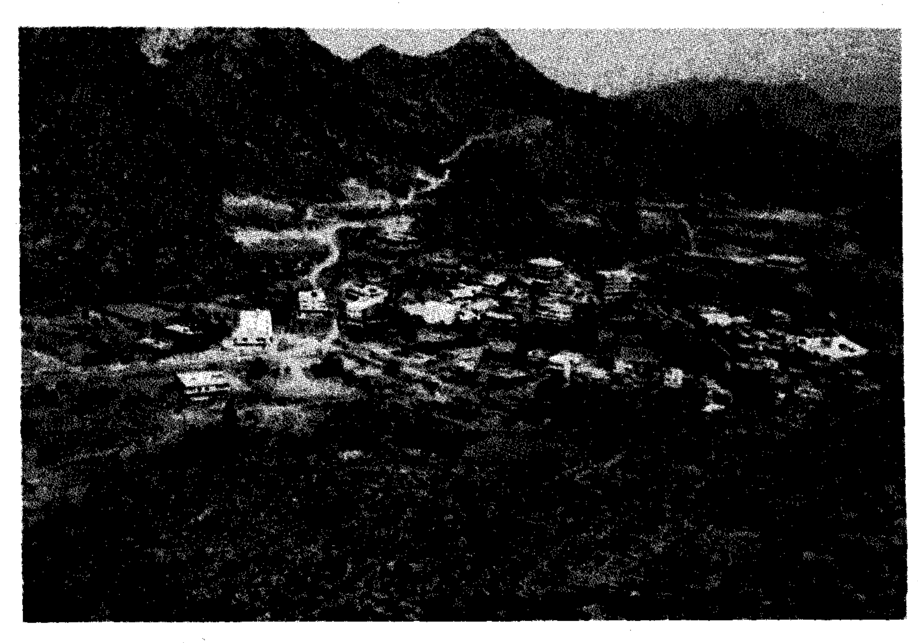
فالهاتف غير موجود بالمنطقة مما يجعل الأهالي يذهبون إلى الطائف أو إلى حداد بني مالك للاتصال بذويهم في المدن.

---

(١) هذه المعلومات أخذتها عن الأستاذ علي بن أحمد الثقفي مدير فرع الشركة في بلاد ثقيف.



وسائل الإضاءة القديمة «الإتريك، الفانوس، اللنبة».



أكثر من سبعين قرية كبيرة وصغيرة وصلتها الخدمة الكهربائية.

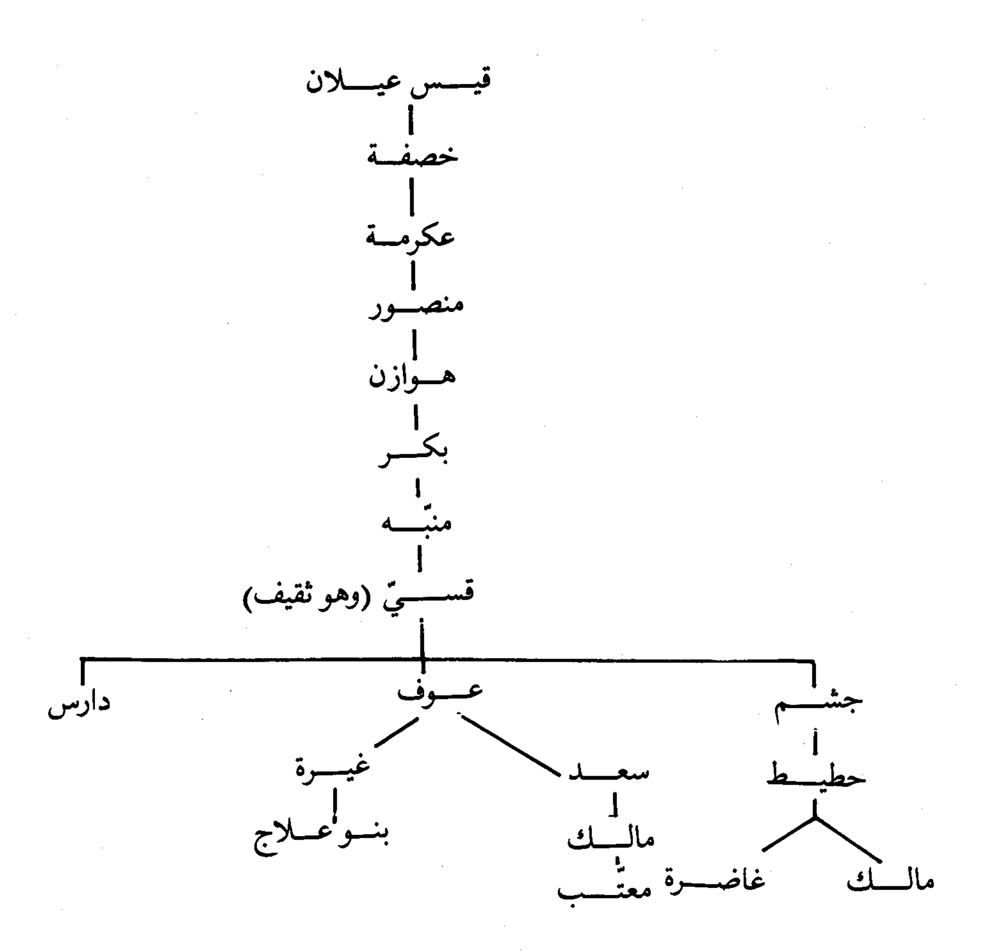
ووجود فرع للبلدية ضروري للإشراف على المباني والإشراف الصحي وسلامة البيئة وإنارة وتخطيط المنطقة وتطوير المنطقة والرقي بها إلى المستوى المنشود.

وتطوير المستوصفات إلى مستشفيات أو إيجاد مستشفى عام يوفر الجهد والزمن للمرضى الذين يحتاجون إلى إجراء بعض العمليات أو بعض الفحوصات التي لا تتوافر في المستوصفات من الخدمات الضرورية للمنطقة.

وتأسيس مكتب زراعي قد يعمل على زيادة التنمية الزراعية في المنطقة ومكافحة الآفات الضارة وتوجيه وإرشاد المزارعين وحثهم على اتباع الطرق الصحيحة في الزراعة، لاسيما وأن المنطقة من المناطق التي تعتمد في كثير من اقتصادها على الزراعة.



ملحق رقم (١)*



(*) نسب ثقيف كما جاء في كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٦٦/ ٢٦٨

ملحق رقم (٢)*

اسم الجد ونسب علي عبدالعزيز عطيه رابع حسن يوسف
عطيه الشبعان الهدوي من بني عثمان من قريش
اهل العمش
وكان ابنه حميد بن عطيه اخو رابع متولي الشيخ
على ثقيف ايام عبدالمطلب حين ذاك [illegible]
بني يوسف وبني جاهل والشيخ درويش
الجهري كان الشيخ لبني جاهل والبخ الحرابي الشيخ
لبني يوسف هذا بعد شدو من الاعمق بالهدى
نزلو بلاد الثقيف ترعه

«اسم الجـد والنسب علي عبدالعزيز عطية رابع حسن يوسف عطية الشبعان الهدوي من بني عثمان من قُريش أهل العمش. وكان ابنه حميد بن عطية أخو رابع متولّي الشياخـة على ثقيف أيام عبدالمطلب حين ذاك. . . بني يوسف وبني جاهل والشيخ درويش الجهري كان شيخ لبني جاهل، والبخ الحرابي شيخ لبني يوسف، هذا بعد شدّوا من الأعمق بالهدى ونزلوا بلاد ثقيف ترعة».

(*) صورة لما وجدته مكتوبًا بخط الوالد علي بن رابع الثقفي ـ غفر الله له ـ والخاصة بهجرة سكان بلاد ثقيف من الهدى إلى أماكنهم اليوم في بلاد ثقيف.

ملحق رقم (٣)*

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد القدر [illegible] اتفقنا منا من [illegible] وجعفري ومشعاني ومنهم [illegible]

علي بن عبدالله وعبدالكريم الدنينه وعلي بن محمد ومحمد بن حسان وعوض بن مصلح وعطيه بن عبدالله

ومحمد بن احمد بن احمد بن هادي وعبدالرحيم بن عبدالرحمن ومنصور بن سالم وعلي بن مربع

وهم جميعا حضور المذكورين [illegible] وجماعتهم وغير متكلم [illegible] في جميع

المخالفات بينهم ثم قالوا حنا اتفقنا على شرط [illegible] وحنا [illegible] النيه وشروطه في

[illegible] ومن جنابي [illegible] فهو على عادته السابقة خمسه وخمسين ريال

[illegible] ولا [illegible] ويلحق الجوز من غير المهر المعلوم

شمال وسجاده وثوب وقميص وشنيله من [illegible] المذكورات [illegible] في غلاء ميكون

مقاضي [illegible] وغير الخمسه والخمسين والخمس العادات المذكورات من [illegible] ولا ازدياد

[illegible] للقبيله ويلحقها الكسوة قرايب العروس [illegible] وهي شبيهة بين

الرجال وسلف ومن [illegible] ممنوعه [illegible] ومن احد سلف ولا [illegible]

للقبيله ملزوم من [illegible] في [illegible] والمهر [illegible] حق فلا [illegible] وكذلك

اهل [illegible] رجال واحد في [illegible] جميع

[illegible] ومن جناب المخالفات فهم على [illegible] اليوم [illegible] على [illegible] هذا

[illegible] ولا [illegible] ويكون بينه مال فلوس للقبيله [illegible]

على طلبهم من عند [illegible] الذي [illegible]

ريال [illegible] فاما [illegible] القبيله [illegible] عشر

ريال [illegible] القبيله [illegible] مال ولا [illegible]

صحيح [illegible] ومن جناب [illegible]

[illegible] من دخل في هذه الشروط [illegible] فهو على حاله [illegible]

[illegible] يكون برضاه واختياره [illegible] وطلب الله [illegible] كما [illegible] الخير والتوفيق

صحيح محمد [illegible] صحيح عطيه [illegible] صحيح عوض [illegible] صحيح محمد بن [illegible] صحيح احمد [illegible] صحيح علي [illegible] صحيح عبدالكريم ابن محمد الدنينه [illegible] صحيح علي

١٣٩٦/٨/٢

(*) الوثيقة الخاصة باتفاق قبيلة آل يعلي من ثقيف على تحديد المهر في عام ١٣٩٦هـ.

ملحق رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد: لقد تحاضروا أهل قها مخامس مخيفي وجعفري وشبعاني وهم بأسماءهم علي بن عبدالله وعبدالكريم الدنينه وعلي بن محمد ومحمد بن حسان وعوض بن معيض وعطية بن عبدالله ومحمد بن أحمداني وأحمد بن صالح وعبدالرحيم بن عبدالرحمن وزاهر بن سالم وعلي بن رابع. وموجب حضور المذكورين حماهم وحباهم وغرامتهم وشروطهم في جميع المخالفات بينهم. ثم قالوا حمانا على شرط أبونا وجدنا مع الندبه وشروطه في حجته الأولية والتالية. ومن جناب حمانا فهو على عادته السابقة خمس وخمسين ريال فرانسه بروسها، وإلا بصرف الله السيار، ويلحق الزوج من غير المهر المعلوم شمله وسحاره وثوب وقميص وشيله من أوسط المذكورات. ومن زاد وإلا إزداد فهو للقبيلة. ويلحقها كسوة قرايب العروس قماش ماهو فلوس، وهي شيمة بين الأرحام. والسلف والرهينة ممنوعة بأسباب الرحم، وإن أحد أسلف أو إرتهن فهو للقبيلة يكون من يأخذ في الحبا والمهر رهينة حق فلا بأس وكذلك جميع أهل قها عيال رجال واحد في غرامه وملامه يد وان واحد مع الثاني على القريب والبعيد. ومن جناب المخالفات فهم على كتاب الأب والجد وهم على من هذا الكتاب وأما مازل فلا حد يدوره يكون بيت مال فلوس للقبيلة فهي على طلبها من عند أهلها. وأيضًا الذي يجي ابن عمه عنده يخطب ويرحب به وقبل رياله وإقباله وعقبها رد رياله وأبا على عياله فعليه من القبيلة حكم عشرين ريال جزى له يأخذونها القبيلة بيت مال. ولا يرحب واحدا بالثاني إلا على الصحيح حيث ما أحد مجبور إلا بعد يأخذ ويعطي. ومن جناب باقي خوامس آل يعلي من دخل في هذه الشروط فهو منهم ومن أبا ومنع فهو على حاله ولا أحد مجبور يكون برضاه وإختياره وأوقاعه (توقيعه) ونطلب الله يهدي الجميع لما فيه الخير والتوفيق.

ترجمة من الوثيقة طبق الأصل ٣/ ٦/ ١٣٦٦هـ

ملحق رقم (٤)*

من عبدالعزيز بن فهد بن معمر إلى المكرم علي بن رابع

السلام وبعد بما أن الهيئة التي توجهت إلى العروشية رفعت إلى رئاسة القضاة قرارًا أوضحت به ما قد وجدته في قراياكم من القبور التي يذبح عندها ويتبرك بأصحابها ويوضع عليها سرج ورايات وقد قامت بهدمها جميعًا، ورئاسة القضاة قد رفعت إلى مقام النيابة موجبه وصدر الأمر الكريم إلينا برقم ١٣٦٨ تاريخ ١٣٦٢/١/٢٤هـ التنبيه على كبير كل قبيلة الذي وجد عندهم القبور وهدمت عدم إعادة البناء عليها أو حدوث خلافها وان لا يصل إليها أحدًا للتبرك بها أو بفعل شيئًا من وضع سرج أو رايات أو الذبح الآن كل هذا أمرًا لا يجيزه الشرع فقد كتبنا إليكم هذا للإحاطة ومراقبة ذلك من قبلكم حيث أن كل كبير قبيلة إذا وجد بقريته قبورًا يتبرك بها فهو المسئول عن ذلك وسيكون الجزاء شديدًا عليه لمخالفة الأوامر واننا سنجعل أناسًا من قبلنا لمراقبة ذلك في كل وقت من نجد بقريته شيئًا مما أشرنا إليه سيكون عرضة للجزاء الصارم يكون معلوم، ، أمير الطائف.

١٣٦٢/١١/٢٧هـ

---

(١) نص الخطاب المرسل من قبل إمارة الطائف الخاص بالتأكيد على حرص المملكة على استتباب الأمن ونشر كلمة التوحيد ومقاومة أهل البدع والشرك وكل ما يخالف الشرع.

ملحق رقم (٥)*

من عبدالله بن زيد الفعر إلى كافة من يراه من الندبة ومن يراه من الشرمان السلام عليكم ورحمة الله.

وبعد لا يخفا إن نحنا قلطنا عليكم حميد بن يوسف شيخ كاف ونلزمكم له بالسمع والطاعة في طاعة الله ورسوله وفي ما يأمركم به من خدمتنا فأنتم اعملوا بمضمون هذا والحذر بالمخالفة والسلام.

١٢٥٩هـ

(١) ترجمة الوثيقة الخاصة بتكليف الشيخ حميد بن يوسف الثقفي بالمشيخة في ثقيف خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

ملحق رقم (٦)*

بسم الله الرحمن الرحيم

بتاريخ ١٣٧٧/٥/٢١هـ

وبعد لقد تحاضروا رؤساء ثقيف نيابة عن قبائلهم وهم بأسمائهم وتواقيعهم أدناه ثم جرى الاتفاق على أنه يصير السوق المعتاد بوادي ترعة الحجاج مثلث بينهم نديبي وجاهلي ويوسفي فيه أخوه في الخسارة والفائدة وكأنهم يدًا واحدة فيما ينوبهم في سوقهم المذكور وليس السوق لأحد عن أحد بل انه سوق ثقيف ومصالح السوق مثلثه بينهم والله على ما نقول وكيل.

شهود الحال

حامد بن عبدالرحمن الشداني الحارثي — وحميدان بن حماد العمراني الحارثي

أسماء رؤساء ثقيف الذي جرى اتفاقهم على ما ذكر:

شاكر الحكير	صالح بن دباح
عبدالمعين	عبدالله بن شرقي
أحمد بن محسن	علي بن محمد
محمد بن دناب	دخيل الله بن راجح
عطية بن حامدي	محمد بن خوضان
علي بن رابع	محمد البقم

(١) النص المترجم للاتفاق بين مشائخ قبائل بلاد ثقيف الخاص بسوق الأربعاء في عام ١٣٧٧هـ.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
- كتب الحديث، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

* الوثائق:

- رسائل متبادلة بين إمارة الطائف ومشائخ المنطقة.
- اتفاقيات محلية تتعلق بالسوق والحمى والمهور.
- روايات المعاصرين من كُبار السن.

* وثائق حكومية:

- وزارة المعارف.

تطور التعليم في المملكة العربية السعودية، ١٣٨٥-١٣٩٧هـ، مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي.

- الرئاسة العامة لتعليم البنات.

تعليم البنات في سبعة عشر عامًا، الرياض ١٣٨٠-١٣٩٧هـ.

* قواميس اللغة:

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الموسوعة العربية الميسرة. بيروت: دار الشعب، ط٢، ١٩٧٢م.
- الواسطي، محب الدين أبي الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر.

* الكتب القديمة :

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ . بيروت : دار صادر للطباعة، ١٣٨٥هـ.
- ابن حزم، جمهرة أنساب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن سعد، الطبقات. بيروت: ١٩٦٠م.
- ابن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام.
تحقيق: فهيم شلتوت، جـ١ ، جدة دار المدني، ١٤٠٦هـ.
- ابن قدامة، أبو عبدالله بن أحمد، المغني، جـ٧، بيروت: دار الكتب العربي، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تحقيق: الدكتور محمد جابر عبدالعال، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
- الأصفهاني، الحسن بن عبدالله ، بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، مطبعة نهضة مصر.
- البلاذري، أحمد بن يحيى ، فتوح البلدان، القاهرة: مطبعة الموسوعات ١٩٠١م.
- الحضراوي، أحمد بن محمد، اللطائف في تاريخ الطائف، مكتبة مكة المكرمة رقم ٩٥٣. (مخطوطة).
- السيوطي، تاريخ الخلفاء. القاهرة: المطبعة المنيرية ١٣٥١هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، القاهرة المطبعة التجارية، ١٩٤٩م.
- العجيمي، حسن بن علي، إهداء اللطائف من أخبار الطائف، تحقيق: يحيى الساعاتي، الطائف: دار ثقيف، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- المقدسي، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، القاهرة. مطبعة نهضة مصر ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

* المراجع الحديثة:

- ابن بشر، عثمان، عنوان المجد في تاريخ نجد، جـ١، مكتبة الرياض الحديثة.
- ارسلان، شكيب، الإرتسامات اللطائف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف. صححه وعلق عليه الأستاذ عبدالرزاق كمال، الطائف: مكتبة المعارف ١٣٩٧هـ.
- الجاسر، حمد، معجم قبائل المملكة العربية السعودية. القسم الأول. القاهرة مطبعة نهضة مصر.
- الحقيل، حمد بن إبراهيم، كنز الأنساب ومجمع الآداب، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- الخويطر، عبدالعزيز بن عبدالله، أي بني، الرياض: مطابع الحرس الوطني جـ١، ١٩٨٩/١٤٠٩م.
- الزامل، عبدالرحمن، منطقة الطائف، دراسة في جغرافية السكان، الطائف: مطابع الشريعة، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- الزركلي، خير الدين، ما رأيت وسمعت، تقديم وتعليق عبدالرزاق كمال، الطائف مكتبة المعارف ١٣٩٨هـ.
- الزركلي، خير الدين، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، بيروت. دار العلم ١٩٨٤م.
- الشريف، محمد بن منصور بن هاشم، قبائل الطائف وأشراف الحجاز، الطائف: دار الحارثي للطباعة، ط١، ١٤٠١هـ.
- الغلامي، عبدالمنعم، الملك الراشد، الرياض: دار اللواء، ط٢، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- المارك، فهد، من شيم الملك عبدالعزيز، جـ٣، ط١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية، بيروت: دار مكتبة الحياة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
- أمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، جـ١، بيروت: مطبعة كرم ١٩٦٤م.
- أمين سعيد، سيرة الإمام محمد بن عبدالوهاب، بيروت ١٣٩٥هـ.
- حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة ط٥، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- حافظ وهبه، خمسون عامًا في جزيرة العرب، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام.
- رفيع، محمد عمر، تاريخ مكة في القرن الرابع عشر، دار مكة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- سيد سابق، فقه السنة، جـ٢ بيروت، دار الكتاب العربي ط٣، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- عبدالحكيم، محمد صبحي، الوطن العربي، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ط٣، ١٩٧٩م.
- فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ط٢، ١٣٨٨هـ.
- كمال، عبدالحي حسن، مقالات عن تاريخ الطائف، مجلة الطائف، الأعداد من ٨٠ إلى ٩٠، ١٤٠٧هـ.
- كمال، محمد سعيد، قبائل الطائف، مجلة العرب، جـ٥، ١٣٨٧هـ.

المحتويات

الموضوع | الصفحة

الكتب التي صدرت من سلسلة « هذه بلادنا »

اسم الكتاب	رقمه	اسم المؤلف	الطبعة
حائل	١	فهد العلي العريفي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بريدة	٢	د. حسن بن فهد الهويمل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجواء	٣	د. صالح بن سليمان النصار الوشمي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
فرسان	٤	إبراهيم عبدالله مفتاح	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
بلاد زهران	٥	د. محمد بن مسفر بن حسين الزهراني	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
عودة سدير	٦	د. عبدالعزيز بن محمد الفيصل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المدينة المنورة	٧	محمد صالح البليهشي	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
المذنب	٨	عبدالرحمن بن عبدالله الغنايم	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الجبيل	٩	عبدالرحمن بن عبدالكريم العبيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الحريق	١٠	محمد بن سعد الدبل	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الرس	١١	عبدالله بن محمد الرشيد	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الخبر	١٢	عبدالله أحمد الشباط	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الزلفي	١٣	عبدالرزاق بن أحمد اليوسف	طبعة ثانية ١٤٠٨هـ
الباحة	١٤	د. صالح عون هاشم عدنان الغامدي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البكيرية	١٥	علي بن سليمان المقوشي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
البدائع	١٦	عبدالله بن محمد العبيد	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
شقراء	١٧	محمد بن إبراهيم بن عبدالله العمار	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
الجوف	١٨	د. عارف بن مفضي المسعر	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
مكة المكرمة	١٩	إبراهيم أحمد حسين كيفي	طبعة أولى ١٤٠٨هـ
تبوك	٢٠	د. محمد بن علي الهرفي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
جلاجل	٢١	د. إبراهيم بن سليمان الأحيدب	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
أبو عريش	٢٢	محمد حاسر إبراهيم عريشي	طبعة أولى ١٤٠٩هـ
عنيزة	٢٣	د. محمد بن عبدالله السلمان	طبعة أولى ١٤١٠هـ
القطيف	٢٤	محمد سعيد المسلم	طبعة أولى ١٤١٠هـ
الشماسية	٢٥	د. عبدالله بن ناصر الوليعي	طبعة أولى ١٤١٠هـ
العيص	٢٦	معتاد بن عبيد السناني	طبعة أولى ١٤١٠هـ
الأفلاج	٢٧	د/ إبراهيم بن صالح بن راشد المجادعة الدوسري	طبعة أولى ١٤١١هـ
رأس تنورة	٢٨	صالح محسن فهد القعود	طبعة أولى ١٤١١هـ
حوطة سدير	٢٩	عبدالله بن عبدالكريم المعجل	طبعة أولى ١٤١١هـ
تيماء	٣٠	محمد حمد السمير التيمائي	طبعة أولى ١٤١١هـ
روضة سدير	٣١	عبدالله بن محمد بن عبدالله أبابطين	طبعة أولى ١٤١٢هـ